الفصل الأول

الندرة الاقتصادية كنواة لعلم الاقتصاد

ويشتمل هذا الفصل على النقاط التالية:

- ما هي مشكلة الندرة في المفهوم الاقتصادي؟
- نموذج تحليلي متكامل حول مشكلة الندرة الاقتصادية
- حقيقة مشكلة الندرة الاقتصادية بين الاعتقاد البشرى، والتوجيه الإلهي (رؤية تحليلية نظرية)
- المبحث الأول نشأة مشكلة الندرة الاقتصادية وتحديد طبيعتها
- المبحث الثاني الموارد الطبيعية والمصدر الإلهي هو الأوحد لإيجادها ولتوزيعها
- المبحث الثالث لمحات حول الواقع البيئي بين اليأس والرجاء

الفصل الأول

الندرة الاقتصادية كنواة لعلم الاقتصاد

مقدمـة

تعتبر المشكلة الاقتصادية من أكثر المشاكل التي يعانى منها العالم البشرى، أفرادا، وجماعات ومؤسسات ودول، ولقد ثار حولها جدالات لا تنتهي في تحديد المقصود بها، وان كانت مشكلة مطلقة أو نسبية، وان كانت قابلة للحل والتكيف أم أن تضخمها ينذر بنهاية العالم.. وعندما يتدخل المتخصصون في مجال الاقتصاد الإسلامي، تبدأ التوجهات في اتخاذ منحنى آخر مختلف أيضاً، مما يزيد من اتساع فجوة الاختلافات بشأن هذا المصطلح الذي يمثل حجر عثرة معيشي للبشر، بل ولبقية الكائنات الأخرى، ولو أن المنظور الإسلامي يحمل في طياته مبشرات تستدعى للتدبر والتفعيل للتوجيهات التي يتضمنها.

ترى، ما هو المقصود الاقتصادي لهذا المصطلح؟ وما هي أسبابه؟ وكيف يمكن التعامل معه تعاملا رشيدا يتفق مع مواصفات الإنسان الاقتصادي الرشيد، ويتحلى بحكمة المسلم المحنك الفطن؟

هذا وغيره سوف يتم شرحه بتفصيل مبسط، يرجى معه توضيح الحال بصورة اقرب من صحيح الواقع، ومبشرات المأمول. وذلك من خلال الصفحات التالية بالفصل الحالي.

ما هي مشكلة الندرة في المفهوم الاقتصادي؟

يعتبر مفهوم الندرة Scarcity جوهر مكونات علم الاقتصاد، وأساس كل المواضيع التي يتناولها ويقوم عليها.. حيث تستخدم الموارد الطبيعية كموضع لتوصيف الندرة التي تعتبر بدورها مشكلة لأنها ينظر إليها أخذا في الاعتبار جانب آخر مقابل هو تعدد حاجات البشر لذات المورد، مع تعدد الاستخدامات البديلة لذات المورد وذات الكمية التي يمكن أن يحصل عليها الفرد (باعتباره نواة لحواراتنا التحليلية في هذا المقام).

وقد عرفها جراهام بنوك Graham Bannock بأنها حالة ينقص فيها الموجود والمتاح عن الذي يطلبه الناس.. ويراها المؤلف البريطاني مشكلة نسبية وليست مطلقة، لأن الموارد والمنتجات والخدمات قد تكون متوافرة، ومع هذا لا تسد كلها احتياجات جميع الناس الطالبين لها، أو تسد جميع الاحتياجات الاستعمالية أو الاستثمارية أو الاستهلاكية المتنوعة التي يمكن أن تفيد بها تلك المتاحات محل الاهتمام.

وعلى الرغم من الاختلافات المستمرة في تعريف علم الاقتصاد، فالملاحظ أن غالبية المفاهيم في تدخل مشكلة "ندرة الموارد" كسبب معيشي يؤثر على حياة الإنسان الاقتصادية، وذلك بشكل مباشر أو غير مباشر.

فعلى سبيل المثال نجد إنه في مفهوم "روبينز" ذكر أن الاقتصاد هو "علم يهتم بدراسة السلوك الإنساني human behavior في استخدام الموارد النادرة scarce resources وتخصيصها بين الاستخدامات البديلة الممكنة لها alternative uses.

وقد عرفه "**ألفريد مارشال**" بأنه "العلم الذي يدرس نشاط الإنسان في كيفية تأمين حاجات حياته العادية".

وفى تعريف لـ "**فؤاد حيدر**"، تم تعريف الاقتصاد بأنه "علم الخيار الذي تفرضه ندرة وسائل تلبية حاجات البشر".

وذكر "**صامويلسون نوردهاوس**" إنه "العلم الذي يقوم على دراسة كيف يمكن للمجتمعات أن تستخدم الموارد النادرة من أجل إنتاج سلع ذات قيمة ونفع، وكيف يمكن توزيع هذه السلع بين الناس على اختلاف أحوالهم".

وأخيرا – وليس بآخر – ذكر في تعريف "**ديسكوفار**" أن علم الاقتصاد يهتم أساسا بـ "دراسة خيارات الناس في أحوال الندرة، وتتبع نتائج تلك الخيارات في تأثيرها على المجتمع".

ترى، لو تناولنا التحليل الإسلامي لمشكلة الندرة، كيف يمكن أن يحدث هذا؟ وهل يمكن أن تختلف أساسيات ما قيل عنها في الاقتصاد الوضعي الذي يرتكز على فكر بشرى بحت؟ وان حدث، فكيف يمكن أن يكون للتحليل الإسلامي تميزا في الشمولية والعرض الأكثر موضوعية وقابلية للمعالجة نظريا، وعلى أرض الواقع أيضاً؟!!

هذا ما يمكن إيجاد إجابات شافية بشأنه مع فوائد معرفية أخرى يمكن الوقوف عليها، وذلك من خلال الاستقراء الدقيق للنموذج التالي الذي يتم عرضه كبحث متكامل حول تعريف "مشكلة الندرة" بأبعادها المختلفة، لغة واصطلاحا، ومعالجة.

نموذج تحليلي متكامل حول مشكلة الندرة الاقتصادية

حقيقة مشكلة الندرة الاقتصادية بين الاعتقاد البشرى، والتوجيه الإلهي

(رؤية تحليلية نظرية)

مقدمة

اعتاد الإنسان أن يركز انتباهه دائما على المفقود متجاهلا دائما ما يتاح له من موجود. وأكبر دليل على هذا أن علم الاقتصاد قد قام بصفة أساسية على افتراض وجود فجوة متنامية الاتساع بين الموارد الطبيعية التي تتاح وتتنامي من ناحية، وبين الاحتياجات والاستخدامات المتنامية لها من قبل البشر من ناحية أخرى، مما نجم عنه مصطلح "مشكلة الندرة الاقتصادية" الذي يمثل جوهر الاقتصاد كفكر وكعلم وكنظام. وبناء على هذا، فقبل البحث التحليلي في مجال الثروات الطبيعية المتاحة في أي بلد أو إقليم. لابد أولا من

التعرف على حقيقة مشكلة الندرة التي أصبحت مشكلة تؤرق الخبراء في كل جهة بالعالم خشية فناء تلك الثروات الطبيعية وعجزها عن تلبية الاحتياجات للأجيال الحالية، بل وللأجيال المقبلة من باب أولى. ومن هذا المنطلق، تركز الورقة الحالية على البدء من نقطة الانطلاق الواجب التعرف عليها بصحيحها قبل الحديث عن مشكلة "مفتعلة" عن عمد أو جهل أو قصور في فهم التصنيف الصحيح للثروات أو للموارد الطبيعية، وفى مصدر تواجدها الحقيقي، وفى القانون التوزيعي الطبيعي المتبع (قصدا) بشأنها، وفى المتحكم الأوحد في تطبيق هذا القانون، فإن تم التعرف الموضوعي على ما سبق عرضه، فقد تتغير النظرة التقليدية كثيرا عند الحديث عن الموارد الطبيعية وعن مدى ملاءمة تواجدها للاحتياجات الفعلية لها، بل وعن مدى ديمومتها لتكفى احتياجات البشر مادامت الحياة مازال مقدرا لها أن تستمر للخلائق عامة، وللبشر بصفة خاصة.

وجدير بالذكر إنه في عام 1932، عَرف الاقتصادي " ليونيل روبنز" علم الاقتصاد بأنه "علم يهتم بدراسة السلوك الإنساني في استخدام الموارد النادرة وتخصيصها بين الاستخدامات البديلة الممكنة لها ". (أ. د زينب صالح الأشوح، بدون تاريخ)

وبعده توالت مفاهيم كثيرة بالغة التنوع في تعريف علم الاقتصاد، إلا أنها اتفقت بشكل مباشر أو غير مباشر على اعتبار مشكلة "ندرة الموارد الطبيعية " بالنسبة للحاجات المتعددة والمتزايدة لها هي لب الاقتصاد وجوهر الاهتمام الذي يقوم عليه.

وقد نشأ عن هذا جدال مازال محتدماً حتى الآن حول تحديد طبيعة "الندرة" التي تؤرق الأفراد والدول خاصة بعد نشوء وتنامي نظرية التنمية المستدامة مع بدايات القرن الواحد وعشرين حيث يذكر البعض أنها ندرة "مطلقة" وآخرون يؤكدون على أنها "نسبية" والمعتدلون من المتخصصين يذكرون أنها مطلقة في جانب ونسبية في جانب آخر وفقاً لاعتبارات تصنيفية وتوزيعية وأخرى تلعب دوراً معنوياً في هذا التحديد.

لكن بالرجوع إلى آيات القرآن الكريم الذي يمثل المصدر الإلهي المعرفي النموذجي المتكامل تم التأكد من أن تلك المشكلة هي نسبية في طبيعتها، وان مسبباتها، ووسائل حلها تختلف في بعض جوانبها عن ما ورد في الفكر البشرى البحت الذي يصور المشكلة ككارثة

محتومة ويقدم حلولاً دائماً تقوم على مشقة مادية قد لا تفلح في بعض الحالات في تحقيق الأهداف المرجوة نتيجة لإهمال الجانب الروحي والتعبدي لمن يملك كل الموارد الطبيعية، ويخلقها ويخلق المستخدمين لها وبإرادته وحده سبحانه تتحدد التوزيعات المقدرة.

وعلى ضوء ما سبق، فقد تركز اهتمام البحث الجاري على دراسة المشكلة الاقتصادية وحقيقة تواجدها على أرض الواقع خاصة في مصر التي يتم التخوف من نضوب ما بها من موارد والسعي المستمر إلى الاستيراد والاقتراض وتقبل المنح من أجل حل مشكلة توفيرها حيث يدعى البعض بأنها أصبحت كارثة صعبة العلاج، وذلك من خلال رؤية تحليلية نظرية الأساس من منظورين وضعي دائم التقلب، وإسلامي نموذجي التوجه، وسوف يتم هذا من خلال ثلاثة فصول:

ففي الفصل الأول، سوف تتم محاولة التعرف الموضوعي على مشكلة الندرة تتبعا لأول ظهور حقيقي لها مع تتبع بعض المتغيرات المرتبطة بها، ثم يتم استكمال الصورة المعنية في الفصل التالي، وذلك من خلال التعرف على طبيعة مفهوم الموارد الطبيعية التي تمثل لب مشكلة الندرة المؤرقة للجميع، مع توضيح موضوعي للمصدر الأساسي لتواجدها ولتوفيرها والمهيمن الحقيقي على توزيعها على المستوى الكلى بل والجزئي أيضاً. وطالما أن البيئة تمثل شقا مكملا للموارد الطبيعية ومتداخلا معه في التأثيرات المتنامية أو المتدهورة، فقد تم تخصيص الفصل الثالث من أجل التعرف على الحال البيئي السائد وعلى بعض التأثيرات السلبية له على تنامي الموارد الطبيعية من ناحية، بالإضافة أيضاً إلى بعض الجوانب الإيجابية المبشرة التي يمكن استنباطها من هذا الحال ظاهر السوء بحيث يمكن أن تعتبر خيوطا إيجابية لتحويل السالب إلى موجب، ولتحويل الندرة إلى وفرة، والحاجة إلى اكتفاء ذاتي.. واستكمالا للصورة المعنية بدون مقاطعات تخل بمجرى العرض الأساسي المستهدف، تتم إضافة ملاحق كبسولية ثلاثة يعرض فيها بإيجاز شديد بعض الثروات الطبيعية في مصر، وبعض الاكتشافات العلمية التي تؤكد على أن الندرة يمكن علاجها بالعلم وبالعمل، والانتهاء بالمرور على أحوال دول الوفرة للتعرف على ما فعله توجهها المادي البحت بمواردها الوفيرة.

المبحث الأول

نشأة مشكلة الندرة الاقتصادية وتحديد طبيعتها

بداءة نعرف الندرة الاقتصادية على أنها حالة عدم كفاية الموارد الطبيعية محدودة العرض بطبيعتها غير المتجددة غالباً في تلبية الاحتياجات البشرية وغير البشرية اللامحدودة والمتزايدة خاصة مع التقدم التقني وتطور الحضارات.

ويمكن أن يمتد تعريف الندرة المعنية ليشمل أيضاً الموارد غير الطبيعية التي يقوم الإنسان بإنتاجها – مثل عدم كفاية المعروض من السلع والخدمات والمنافع المتاحة لتلبية الاحتياجات المعاصرة لها على المستويين المكاني والزمني، ومن هذا انطلقت نظريات تميز بين الحاجات الأساسية والحاجات الكمالية والحاجات البذخية ثم مؤخراً الحاجات المستفزة!!! وهو ما سوف يتم الإشارة حول البعض منه بمزيد من التفاصيل لاحقاً.

نشأة مشكلة الندرة: متى؟ وأين؟ وكيف حدثت؟ وما هو سبب ظهورها؟ وبأي طبيعية؟

غاية ما قد يتوقعه الإنسان من إجابة على هذا أن يقال أنها نشأت بعد نشوء التجمعات البشرية وتزايد السكان بأعداد ضخمة مع تدهور البيئة والموارد وتزايد الاستهلاك المستمر لها والاستغلال السيئ للمتوافر منها.. فكل تلك التوقعات الشائعة تركز دائماً على وقت تواجد الإنسان على أرضنا الدنيا وذلك للارتباط البشرى المادي البحت بتلك الأرض مؤقتة التواجد وعدم انتباهه اللازم إلى حقيقة ما حدث قبل هذا على الرغم من ما يعرفه الجميع عنه بالفطرة التي خلق البشر عليها.

أولا: وقت نشأة مشكلة الندرة:

نزول آدم عليه السلام وزوجته حواء إلى أرضنا الدنيا.

ثانيا: مكان حدوث مشكلة الندرة:

إحدى جنان الله غير الأرضية قبل خلق أرضنا الدنيا.

ثالثا: كيف حدثت مشكلة الندرة:

1- في البداية، كان آدم عليه السلام وزوجته مباح لهما أن يأكلان من جميع الثمرات ماعدا شجرة واحده ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الأعراف: 19)

﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (البقرة: 35)

ومن الآيتين يتضح بداءة نوعاً من الندرة النسبية غير المباشرة وهى تتمثل في الشجرة التي حرم الله تعالى على آدم وزوجته الأكل منها ولم يذكر لهما السبب في التحريم لكنه سبحانه حذرهما من العواقب السلبية لو استخدموا هذا المورد الطبيعي المتاح مادياً والممنوع في حق استغلاله بشكل مطلق.

2- وقد حدث هذا التوجيه أو الأمر الإلهي بعد أن أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم وأخبرهم باختياره له ليكون خليفة في الأرض، وأوضح لهم تميزه – سبحانه – لآدم على جميع المخلوقات الأخرى بتعليمه لجميع المسميات والمفاهيم والاصطلاحات ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة: 30)

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (البقرة: 31–33)

3- وهنا بدأ ظهور إبليس الذي أظهر حسده وحقده واحتقاره لآدم عليه السلام وذلك بالتحديد حين رفض بوقاحة طاعة ربه في أمره للملائكة بالسجود لأدم.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: 34)

4- وزاد حسد الشيطان لآدم وزوجته حواء حين وجدهما ينعمان برغد الجنة وبثمرها فبدأ نشاطه الإيذائي لهما باستخدام المكر والوسوسة والخديعة لكي يسلبهما نعيم العيش المتاح لهما، وقد وحدث هذا بالتركيز على المورد المحرم وإغرائهما باستخدامه (بما يتحقق معه مخالفة لأوامر الخالق واستجلاب غضبه عليهما)، وكانت الوسيلة الفعالة لنجاح خطته الإغوائية أن يضفى على المورد المحرم (الشجرة) منفعة مؤكدة الإسعاد والإشباع لرغبات آدم وزوجته وهى عدم الفناء. ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الأعراف: 20)

رابعا: السبب في ظهور الندرة كمشكلة والطبيعة التي ظهرت عليها:

وبمجرد استجابة آدم وزوجته للإغواء الشيطاني وتذوقهما لثمار الشجرة المحرمة ظهرت الصورة الجديدة للندرة لكن بشكل أقرب للمفهوم الاقتصادي الذي يتم تناوله في علم الاقتصاد الحالي:

أ- فقد كان هنا سبباً واضحاً لنشوء الندرة كمشكلة تتسبب في حزن وندم آدم وزوجته وكان السبب هو عصيان أمر إلهي والاستجابة لوسوسة الشيطان ومخالفتهما الأمر.

ب- وبدأت المشكلة المعنية بخلق حاجة بشرية تستلزم مجهوداً من أجل تلبيتها، وكانت تلك الحاجة تتمثل في إظهار عورتي آدم وحواء.

ج- وبدأ شكل ندرة الموارد المتاحة كمشكلة ظاهرة حين عجز آدم وحواء عن العثور على ما يستر العورة (التي عرفا بالفطرة قبح ظهورها حتى لبقية الخلائق)، ولم يجدا سوى أوراق الشجر المحيط بهما فهرعا إلى قطفه بعشوائية وبسرعة للتمكن من إخفاء العورة التي ظهرت.

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأعراف: 22)

د- ويبدو أن مشكلة الندرة هذه (التي نتجت عن أول معصية بشرية للخالق، استجابة لأول نشاط شيطاني مع عدوه البشرى)، لها ارتباط وثيق بحالة العداوة والصراعات المحتومة بين غالبية المخلوقات التي تعيش على الأرض الدنيا والتي نرى آثارها بكل وضوح في الصراعات البشرية العالمية المحتدمة من أجل الاستحواذ على الموارد الطبيعية الموجودة في المناطق الأخرى، وبحالة العداوة والصرعات اللانهائية بين المخلوقات الأخرى جميعها تقريبا خاصة تلك التي تعيش في الغابات وداخل أعماق المجارى المائية وغيرها.

وقد يكون دليلنا على هذا ما قاله الله تعالى لآدم ولحواء وللشيطان بعد قصة العصيان البشرى الأول، وظهور مشكلة الندرة النسبية كبداية لمعاناة البشر وللانتقال للسكن والعيش المؤقت على الأرض الدنيا.

﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأعراف 24، 25)

الخلاصة:

فقد نشأت الندرة كاصطلاح وكمشكلة قبل نزول آدم عليه السلام وزوجته إلى الأرض الدنيا، وكان السبب في نشوئها، حدوث المعصية بمخالفة الأمر الإلهي، وهى مشكلة نسبية ومقدرة من الخالق، ومن الآثار السلبية لحدوثها انتشار العداوة بين المخلوقات.

هذا ما تم استخلاصه من دروس مستفادة حول المصطلح المعنى من مجرد لمحة قرآنية لقصة واحدة ترتبط بآدم عليه السلام وزوجته في بدايات معيشتهما خارج دنيانا الأرضية المعتادة. لكن الآيات القرآنية قد ذخرت - أيضاً - في مواضع أخرى منها بالعديد والعديد من الدروس المستفادة التي تمكن أي باحث جاد من استنباط صورة أكثر منطقية حول حقيقة

ما يواجه الأفراد والمجتمعات من ندرة في الموارد المتاحة، والوسائل الأكثر فعالية للتغلب على تلك المشكلة والوصول إلى الوضع التوازني الصحيح وليس المستهدف[1].

ويمكن أن تتضح خلاصة ما سبق أيضاً من خلال الإطلاع على الشكل (1-1) التالي:

شكل (1-1)
قصة نشوء مشكلة الندرة الاقتصادية وأسبابها وتوابعها

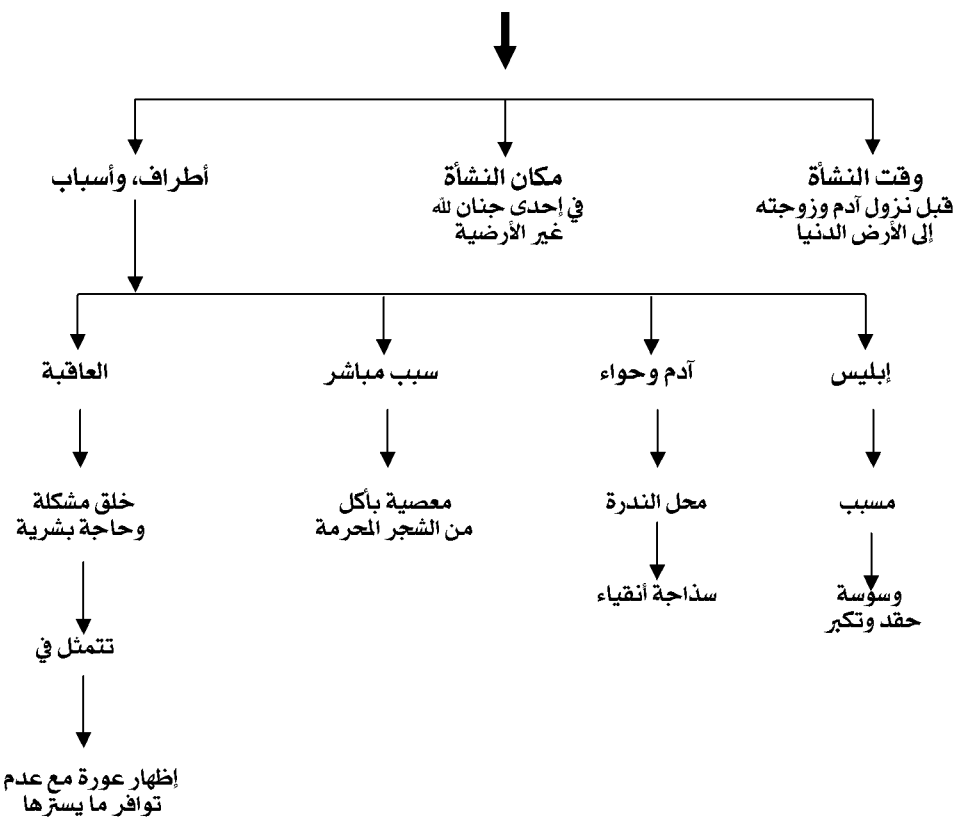

(1) حيث أن المستهدف قد لا يكون صحيحاً أن تم بناء على محددات لا تتلاءم بصحيحها مع القدرات والاحتياجات والمنافع الفعلية وهو ما سوف يتم توضيحه في طيات المعروض لاحقاً.

الندرة في المنظور الاقتصادي بشري الإعداد والتوجه

كنظرة عامة، يشاع في الغالبية العظمى من الدراسات الاقتصادية أن هناك دائماً مشكلة ندرة اقتصادية تتمثل في محدودية الموارد المتاحة مقارنة بالاحتياجات البشرية اللامحدودة والتي دائماً ما تزيد على تلك الموارد.

وتلك الندرة تحدث إما بشكل مطلق وذلك خاصة في حالة الموارد الطبيعية غير المتجددة مثل موارد الطاقة (كالبترول والفحم) أو بشكل نسبى مثل المزروعات النباتية ومياه الأمطار وبعض الموارد البيئة كالثروات السمكية والأماكن الطبيعية السياحية.

وفى جميع حالات الندرة فإن هذا يستلزم عملية الاختيار والمفاضلة Choice and Preference بين الاستخدامات البديلة المتعددة والتضحية ببعض الرغبات من أجل تحقيق أخرى بديلة، حيث يتم هذا من خلال عملية تخصيص للاستخدامات المقررة وفقاً لقائمة أولويات عادة ما تختلف ما بين الأفراد والمجتمعات، ومن زمن لآخر، ومن مكان لآخر، وفقاً للمستوى المستهدف من إشباع الحاجات الإنسانية The satisfaction of human needs.

أولا: بعض المفاهيم ذات الصلة

ومن المنطلق السابق، تم استنباط بعض المصطلحات أو المفاهيم الاقتصادية ذات الصلة مثل:

1- **مؤشر الندرة** scarcity index: ويقصد به التكلفة الحقيقة لمدخلات رأس المال والعمل لكل وحدة إنتاج استخراجي معبر عنه كرقم قياسي لأسعار تلك المخرجات نسبة إلى الإنتاج الاستخراجي أو غير التعديني (تحسين التاجي الفاروقي، 2009 ص 400).

2- **قانون الندرة** scarcity low: هو مبدأ يقول أن غالبية الأشياء التي يريدها الناس (باستثناء السلع المجانية) متاحة فقط بكميات محدود عرضها ولذلك فهي عموماً نادرة (المرجع السابق).

3- **تسعير الندرة** scarcity pricing: أي تحديد أسعار تتعادل مع التكلفة الاجتماعية الحدية، حيث يطبق هذا غالباً في اقتصاديات النقل (المرجع السابق).

4- **ريع الندرة** scarcity rent: أي العائد الاقتصادي المستحق الحصول عليه عن شيء نادر (المرجع السابق).

5- **موارد مجانية** free resources: وهى الموارد الطبيعية المتاحة مجاناً لكل البشر مثل الضوء والهواء.

6- **موارد اقتصادية** economic resources: وهى الموارد التي لابد من دفع مقابل لها من أجل الحصول عليها.

ثانيا: بعض النظريات الاقتصادية التي تضمنت فكرة الندرة:

(1) الفكر التجاري: منتصف القرن 15 م ـ منتصف القرن 18 م

ركز هذا الفكر على الثروة المعدنية خاصة من الذهب والفضة والمعادن النفيسة واعتبارها الخيار الأهم لأي دولة تستهدف اكتساب القوة والهيمنة على الآخرين، واعتبر الموارد الطبيعية الأخرى خاصة الزراعية منها بمثابة مواد خام محدودة فحرصوا على الاحتفاظ بها لديهم في بلادهم الأوربية منها، مع استيراد ما يمكن استيراده من الدول الأخرى منها من أجل تغطية احتياجاتهم المباشرة والتصنيعية منها من أجل زيادة الصناعات التي يتم تصديرها إلى الدول الأخرى فتتزايد معها المتحصلات من الثروة المعدنية النفيسة.

وقد ذكر في هذا الفكر أن الحجم الإجمالي للثروة المعدنية المعنية ثابت على المستوى العالمي ومحدود الحجم إجمالاً، ومن ثم فإن زيادة حجم تلك الثروة في دولة ما لابد أن يكون أو يحدث على حساب تخفيض ما تمتلكه دولة أو عدة دول أخرى منها.

ومن ثم فقد كان هذا الفكر استعماري التوجه لأنه يحث على زيادة الثروة المحلية حتى من خلال استعمار الدول الأخرى الغنية بالثروات المعنية من أجل استنزاف ما تمتلكه منها (د/ زينب صالح الأشوح 2015، ص93).

(2) نظرية مالتس في السكان: (ظهرت في عام 1793م)

تركز النظرية على اعتبار الزيادة السكانية كسبب رئيسي لحدوث مشكلة الندرة الاقتصادية موضحة أن الموارد الطبيعية (الممثلة لجانب العرض) تنمو بمتوالية حسابية أو

عددية (5، 4، 3، 2، 1... الخ) بينما تتنامي الموارد البشرية (المستخدمة لتلك الموارد الطبيعية والممثلة لجانب الطلب لها)، بمتوالية هندسية أو متضاعفة مركبة (32، 16، 4، 2،1،.... الخ)، ويتسبب هذا الاختلاف غير المتوازن في معدل النمو بين الجانبين في إحداث فجوة متزايدة الاتساع بين جانب عرض الموارد الطبيعية، وجانب الطلب عليها حيث يتضاعف عدد السكان كل 25 عام بينما لا تحدث زيادة مماثلة في الموارد في خلال ذات الفترة. فإذا لم تستخدم الموانع الطبيعية لتخفيض النمو السكاني وذلك بتأخير سن الزواج مع العفة، فسوف تحدث كوارث طبيعية مثل المجاعات أو انتشار الأوبئة أو اندلاع الحروب وتستمر حتى يعود التوازن التلقائي بين الطرفين (المرجع السابق ص 138، 139)

(3) نظرية آدم سميث "اليد الخفية" (1766م):

وفى تلك النظرية، تحدث سميث عن مشكلة الندرة كمسلمة يجب التعامل معها باستمرار التفاوضات والتنازلات الملائمة من جميع الأطراف المتعاملة معا حتى يصل الجميع إلى حالة التراضي العام بين الجميع، حيث أوضح أن هناك دائماً فجوة بين ما يتطلع جانب الطلب للحصول عليه من ناحية، وبين جانب المعروض والمتاح له بمقابل معين على الجانب المقابل، وركز نظرته هنا على الموارد المنتجة وليس الطبيعي أو المجاني منها، وذكر أن تلك الفجوة تتسبب في حدوث خلل في التوازن بين العرض والطلب مما يتطلب بالضرورة حدوث تنازلات من الجانبين، وكأن هناك يد خفية تحث وتوجه الجميع إلى تحقيق التنازلات الجماعية الواجبة بما ينتهي إلى تحقيق حالة التوازن التي يتراضي عندها جميع الأطراف على الرغم من إنه في تلك الحالة سيجد كل فرد من الطرفيين إنه قد حقق وضعا مختلفا عن ما استهدف إلى تحقيقه في البداية. (تودج بوشهولز، 1996)

(4) قانون تناقص الغلة "دافيد ريكاردو" (1817م في كتابه "مبادئ الاقتصاد السياسي والضرائب):

وهنا، تأثر ريكاردو بنظرية مالتس في السكان، واعتبر الزيادة السكانية سبباً في تدهور المتاح من الغلة الزراعية نتيجة للزيادة المستمرة في السكان التي تتحول بعد هذا إلى عمالة، وبافتراض أن الأرض هي الموضع الإنتاجي الثابت الأساسي، فأوضح أن زيادة عدد العمال

على ذات المساحات المنزرعة المحدودة من الأرض ستؤدى في البداية إلى تزايد الغلة الزراعية، لكن باستمرار إضافة أيدي عاملة زراعية جديدة على ذات المساحة المنزرعة سوف يؤدى إلى إنهاكها حيث ينخفض معدل الإنتاجية إلى صفر، وبتوالي الإضافات البشرية العاملة إلى ذات المساحة الأرضية المستغلة، يبدأ معدل الإنتاجية في اتخاذ أرقاما سلبية متناقصة مما يتسبب في الانخفاض المستمر في الناتج الحدي وتحوله إلى أرقام سلبية متزايدة الارتفاع مما ينتهي بالتوقف الإنتاجي التام للموارد المستهدفة في نهاية الأمر، وبعجز الأرض المولدة للموارد عن إدرار المزيد تحت وطأة الأقدام والسواعد البشرية المتزايدة بأحمالها الاستغلالية لها.

(5) نظرية "شومبيتر" (في كتابه "نظرية التنمية الاقتصادية" عام 1911م الذي استكمل بكتاب آخر في عام 1939):

ولقد ركزت النظرية على عرض منظور إيجابي يتمثل في إيجاد حل لمشكلة محدودية الموارد الطبيعية والمصنعة وذلك من خلال تفعيل وسيلتين رئيسيتين:

- الوسيلة الأولى وتتمثل في المنظم المبدع الابتكاري الذي لا يكتفي بالإدارة التقليدية ثابتة الثمار، لكنه دائم التطوير والابتكار والتحديث في كل شيء في طبيعة المواد وخصائصها، وفى إنتاج موارد جديدة أو متجددة، وفى اتباع أساليب تقنية جديدة ومتطورة، وفى فتح أسواق جديدة باستخدام مهارات وخبرات إبداعية متطورة. ولقد اعُتبر المنظم بمثابة المفتاح الجوهري أو الدينامو المحرك لأية علميات تنموية أو تطويرية ناجحة.
- أما الوسيلة الثانية فتتمثل في الائتمان المصرفي الذي يوفر للمشروعات خاصة عالية المخاطر ما يلزم من إمكانيات تمويلية، ويدعم بفاعلية قدرات وخطط وإنجازات المنظم المبدع.

(6) نظرية التنمية المستدامة (ظهرت في السبعينيات واستمرت بتطورات كثيرة حتى حينه):

فقد ظهرت تلك النظرية وتطورت من خلال المخاوف العالمية من تنامي مشكلة تدهور الموارد الطبيعية وتلوث البيئة التي تهدد العالم كله بتأثيراتها المدمرة مما يمكن أن يتسبب ليس فقط في نقص المتاح مما يمكن أن يلبى احتياجات الأجيال الحالية، لكنه قد يتسبب أيضاً

في حرمان الأجيال المستقبلية من الانتفاع بحقها المشترك في الموارد والبيئة الطبيعيين المحدودين غالباً بشكل مطلق، والآخذان في التدهور حتى بالنسبة للموارد الطبيعية المتجددة والدائمة مثل الهواء والماء الصالحين للعيش الأرضي الصحي وذلك نتيجة لإساءة استغلال الموارد الطبيعية بالتوسع في العمليات الصناعية والنووية التي تسببت في إحداث ثقب الأوزون، مع الاستخدام الجائر المتخلف للأشجار والمزروعات وغيرها. (د. زينب صالح الأشوح، 2003)

(7) نظرية الطبيعيين (منتصف القرن 18م):

وتعتبر أكثر النظريات موضوعية – إلى حد ما – في تقدير الأهمية النسبية الأكبر للموارد الطبيعية متمثلة في الأرض ومنتجاتها الزراعية بصفة خاصة، حين اعتبرت الزراعة هي النشاط المنتج الوحيد الذي يدر قيمة مضافة تكفى لتغطية حاجات العاملين على استزراعها، بالإضافة إلى تغطية جميع حاجات العاملين في القطاعات الأخرى كالصناعية والتجارية كغذاء وكخامات إنتاجية. وقد يرجع منظورها هذا إلى قيام أفكار أصحابها على مبدأ أساسي يتمثل في الإيمان بوجود خالق ينظم الكون وهو القادر وحده على توفير حالة التوازن الشاملة التي تضمن البقاء المعيشي على الأرض، ومن أجل هذا تمت المطالبة بعدم تدخل البشر في إحداث أي تغير في هذا النظام الطبيعي وألا تسبب هذا في الإخلال بالتوازن الطبيعي المعيشي الصحيح الذي تنعم به البشرية.

الخلاصة:

إن الفكر الاقتصادي الوضعي في الغالبية العظمى منه يقوم على فكرة واشتراط Assumption جوهري لا محل له من الاعتراض، وهو أن العالم يواجه دائماً حالة ندرة في الموارد الطبيعية المتاحة، وهى في غالبيتها العظمى ندرة مطلقة نتيجة للتزايد المستمر في نمو السكان من ناحية، وللتزايد المتفاقم في الحاجات البشرية المواكبة لمتطلبات التطور الحضاري المستمر من ناحية أخرى.

وبناءً عليه، تطل علينا دائماً توقعات ونظريات تشاؤمية تحذر من مستقبل معيشي مظلم، فينادى بعضها بالتخلي الكامل عن الدول الضعيفة والاكتفاء بحماية الذات مثل سياسة التجاريين قديمة المنشأ، ونظرية "قارب النجاة" المستحدثة (د/ زينب صالح الأشوح، مرجع سبق ذكره ص 198، 199)

ويسعى البعض إلى افتعال صراعات شرسة ومدمرة مع الدول المستضعفة طمعاً في الاستئثار بمواردها مثلما يحدث بوضوح في الآونة الأخيرة خاصة منذ نهايات عام 2010 حتى الآن فيما يتعلق بأحداث ما تنعت – كذباً – بالربيع العربي. ومازال الجدل محتدماً، ومازالت تخبطات النظريات والأفعال تلف العالم بمخاوف وبسوداويات لا يعلم مدى عواقبها إلا خالق هذا الكون بكل ما فيه من معروض معيشي وطلب بشرى. إنه "الله" سبحانه وتعالى. فلماذا لا نكون أكثر موضوعية ونحاول أن نتعرف على ما أرشدنا إليه الله تعالى في هذا الصدد؟؟!!!.

تعالوا معاً للتدبر في آيات القرآن الكريم الذي يتحدث الخالق معنا من خلاله في كل أمر يشغلنا حتى في أمر المعروض والطالب له ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأنعام: 38).

ويمكن الاستعانة بالشكل (1-2) التالي للاطلاع على صورة تصويرية مختصرة لأهم ما تضمنته النظريات الوضعية من نقاط بشأن مشكلة الندرة الاقتصادية، وذلك وفقا لما تم عرضه في الصفحات السابقة:

جدول رقم (1-1)
الندرة الاقتصادية كما وردت في بعض النظريات بشرية الإعداد

1-التجاريون (الدولة)	2-مالتس (السكان)	3-آدم سميث (اليد الخفية)	4-ريكاردو (تناقص الغلة)
• الدولة تستمر بالقوة • و القوة بالثروة الطبيعية • وهى ثابتة في العالم • اذن، زيادة ثروة دولة تعنى • نقص ثروة دولة أخرى • (مذهب استعماري)	• عددية في الموارد • هندسية في السكان • فجوة متزايدة بين المعروض والمطلوب يؤدى إلى ظهور وسائل طبيعية سلبية لاستعادة التوازن مثل (الحروب والمجاعات والأوبئة) • الحل: تأخير سن الزواج مع العفة أي معدلات الإنجاب	• تعارض الأهداف بين جانبي العرض والطلب • خلل توازني • مفاوضات وتنازلات تتمثل في (يد خفية) • حالة توازن ورضا للجميع مع تغير المتحقق الفعلي عن أهداف الجميع	• عنصر إنتاجي ثابت • عنصر متزايد على الثابت (العمالة البشرية) • تزايد معدلات الإنتاج ثم ثبات ثم تناقص

5-شومبيتر (المنظم والائتمان)	6-التنمية المستدامة	7-الطبيعيون
• حل محدودية الموارد يحدث من خلال: - منظم مبدع ومبتكر • ائتمان تحويلي كاف • أسواق جديدة مربحة	• حق الجيل الحالي • حقوق الأجيال المستقبلية • تدهور الموارد وتلوث البيئة • مسئولية العالم أجمع	• القطاع الزراعي هو المنتج الوحيد لقيمة صافية مضافة تكفى احتياجات وبقية القطاعات الأخرى • كل القطاعات الاقتصادية الأخرى (صناعة وتجارة) صفرية الإنتاج ولا تقدم قيمة مضافة • إذاً هناك وفرة كافية في الموارد الطبيعة وتحقق التوازن إلهي المصدر • أي تدخل في عملية الإنتاج والتوزيع والمسار التدفقي للموارد الطبيعة يتسبب في خلل توازني • هذا الخلل التوازني هو ما يطلق عليه حالياً مشكلة الندرة الاقتصادية

حقيقة الندرة وبعض أسبابها كما ورد في النصوص الشرعية

بداءة تؤكد كل آيات القرآن الكريم على حقائق لو تدبرها الإنسان بحكمة لذهب عنه أي تخوف مما يبدو جلياً في الفكر البشرى الذي تم عرض نبذة عنه تواً، فالله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء وهو القادر لأن يقول للشيء "كن فيكون" وعنده "خزائن

كل شيء" لكن هذا لا يمنع من وجود حالات ومظاهر ندرة وحاجة مستمرة بين البشر، بعضها علمنا الله سبحانه وتعالى أسباب حدوثه والحكمة في إحداثه، والأخرى تتطلب منا الإذعان والقبول بلا أي تفكير أو اعتراض، مع اللهث بالدعاء من أجل تحسين الأحوال.

وبالتأمل في آيات الله يمكن تصنيف الندرة وفقاً لبعض المسببات التي أراد الله أن يوضحها لنا وذلك على النحو التالي:

أولا: الندرة كعقاب إلهي رادع خاصة لمن أساء استغلال ما أتيح له ومن جحد بنعم الله:

1- الكبر والغرور يؤدى إلى إهلاك الموارد:

- ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ ﴾ (الكهف 32-35)
- ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ ﴾ (الكهف: 42)

2- إساءة استغلال الموارد الطبيعية والنعم المتاحة يؤدى إلى تدهور الموارد:

- ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١ ﴾ (الروم: 41)

3- التهوين من شأن النعم والمنح المتاحة وإهمالها، مع وجود أقوام أكثر تقديرا وأفضل معاملة لها:

- ﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨ ﴾ (الدخان 25-28)

4- الجحود بالنعم وعدم أداء حقها من الشكر وحسن الاستغلال على مستوى الدولة الكاملة يتسبب في المجاعات وضياع الأمن:

- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل: 112)

ثانيا: الندرة كابتلاء واختيار ورفع للدرجات لمن يحسن التعامل الإيماني الصحيح مع هذا الابتلاء:

1- ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (البقرة 155-156)

2- بل أن الندرة تتساوى مع الوفرة في اعتبارهما وسائل للاختبار الإلهي

- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأنبياء: 35).

- ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الأنعام: 44-45).

ثالثا: الندرة كوسيلة تربوية وتدريبية على الصلابة والرشد في الاستهلاك وفي تحمل الشدائد وتجنب المحرمات:

1- ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (سبأ: 39).

2- ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ (طه: 81)

3- ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الشورى: 27).

رابعا: الندرة كوسيلة توزيعية تؤكد على المعيار الإلهي في التوزيع وهو اللامساواة، ضمانا للتواصل البشرى وإعمار الأرض:

1- ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ (العنكبوت: 62).

2- ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الزخرف: 32).

3- ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (النحل: 71)

4- "إذا ساق الله إليك رزقاً من غير مسألة ولا إشراف نفس فخذه، فإن الله أعطاكه" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 1، 590 - 269، ص 163)

خامسا: الندرة نتيجة للتبذير وللمعاملات المحرمة والتسول لغير ضرورة وخشية الفقر وتناسى أن الرزق من الله:

1- ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الإسراء: 26-27).

2- ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الإسراء: 29-31).

3- ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ (البقرة: 276).

4- ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ (طه: 81).

5- ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (الأنعام: 14).

6- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (النحل: 112).

7- ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ..... ﴾(القصص: 78) ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (القصص: 81- 82)

8- ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (الإسراء: 100).

سادسا: المحدودية قد تكون وهمية كنتيجة لنهم المبالغة في الحاجات والمطالبات الدنيوية:

1- ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (آل عمران: 14)

2- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ (التوبة: 34).

3- "لو كان لابن آدم وادٍ من نخل لتمنى مثله، ثم تمنى مثله، حتى يتمنى أودية، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب " (صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، وتم 5289).

4- " لو كان لابن آدم وادٍ من مال لابتغى إليه ثانياً، ولو كان له وأديان لا بتغي لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم ألا التراب، ويتوب الله على من تاب " (المرجع السابق، 5288).

5- ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (إبراهيم: 34).

6- " إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه بالمال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه " (رواه البخاري ومسلم).

7- ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ.... ﴾ (النساء: 32)

8- "مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا" (صحيح الجامع الصغير وزيادته 6624).

وتتلخص مسببات الندرة السابق سردها في صورة شاملة تتضح في الجدول (1-3) التالي:

جدول (1-2)

بعض الأسباب الهامة لحدوث وتنامي مشكلة المحدودية والندرة

عقاب إلهي	ابتلاء واختبار	تهذيب سلوكي	نموذج توزيع إلهي	نتيجة جماح للمبذرين	محدودية مفتعلة ووهمية
نتيجة لذنوب ومعاصي	لرفع درجات المؤمن	للتدريب على الترشيد (تربية سلوكية اقتصادية)	يقوم على اللامساواة من أجل: - التواصل البشرى - استمرارية إعمار الكون	• ردع للمتسولين عن غير حاجة حقيقية • ردع للناكرين لحقيقة أن الرزق فقط بيد الله	نتيجة لجشع ولا محدودية الرغبات والمطالب

بعض طرق ووسائل تجنب مشكلة المحدودية أو التخلص منها والتخفيف من سوء آثارها

أولا: الدعاء المباشر والذكر والتسبيح والاستغفار والتوبة وعدم موالاة المنحرفين (لأنهم سفهاء بإهدارهم للنعم):

1- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (البقرة: 126).

2- ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (المائدة: 114).

3- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (المنافقون: 9).

4- ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (نوح 10-12).

5- ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (هود: 52)

6- ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (المائدة: 65- 66)

7- ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (النور: 37- 38).

8- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (البقرة: 172).

9- ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ (الطلاق: 2-3).

ثانيا: الرشد الاستهلاكي والإنفاقي وتخصيص جزء للمحتاجين:

1- ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ (البقرة: 272).

2- ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (سبأ: 39).

3- ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد: 18).

4- ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان: 67).

5- ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء: 29).

ثالثا: العمل والسعي والسفر والانتقال إلى أماكن التكسب والمنافع مع تحرى الاستهلاك والإنتاج والمكسب الحلال:

1- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الملك: 15).

2- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل: 97).

3- ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الحج: 58).

4- ﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (المائدة: 88).

5- "إِنّ اللهَّ يُحِبّ إذا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ". (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 1 وحسن 1880، ص383)

6- "لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أربع: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جسمه فيم أبلاهِ". (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 2، 7300 - 2531، ص 1221)

7- "نهى عن الأكل والشرب في إناء الذهب والفضة". (المرجع السابق 6866، ص 1158)

رابعا: دمج العمل التعبدي لله مع الإتقان التطوعي والعمل المعيشي بنجم عنه عمل تكسبي أخروي (التجارة مع الله كنشاط مؤكد الأرباح):

1- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (فاطر: 29).

2- ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الرعد: 22).

3- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الجمعة: 10).

4- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ (الكهف: 7).

خامسا: الالتزام بتطبيق قاعدة التوفيق بين كل من المصلحة "الفردية" والمصلحة "المجتمعية" كشرط ضروري للتوازن بين جانبي عرض الموارد والطلب عليها:

1- فالفرد له حق التصرف فيما يمتلكه وعليه واجب الحفاظ والدفاع عن هذا الحق حتى الموت.

- "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 6445، ص 1100).
- الإنسان ذاته ملكية مؤقتة لذويه "من قتل خطأ فديته مائة من الإبل، ثلاثون بنت مخاض، وثلاثون بنت لبون، وثلاثون حقة، وعشرة بنى لبون" (المرجع السابق، حسن، 6443 - 2190، ص 1100).

2- والمجتمع: له حق الملكية العامة للموارد التي لا يستطيع أي إنسان العيش بدون توافرها له وللمخلوقات التي سُخرت من أجل تيسير معايشه وذلك مثل المال والمراعى والنار وكل عين ظاهرة كالنفط والفحم والكبريت أو حجارة ظاهرة في غير ملك لأحد. (د/ زينب صالح الأشوح، 1997، ص 124) .

وذلك مصداقاً للحديث الصحيح: "الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار" (رواه أحمد وأبو دواد وابن ماجه وأبو عبيد في الأموال، ص 413).

الخلاصة:

بتتبع النصوص الشرعية الممثلة للمصادر المعرفية النموذجية الأساسية، تأكد أن "الندرة" هي مصطلح يمكن أن ينطبق في حدود الإدراك المعرفي والمتاح والتطبيقي للبشر فقط، لكنها لا تتحقق أبداً في المصادر الإلهية الأصلية للموارد التي مهما بذل الإنسان مجهوده الأقصى من أجل حصرها فلن يستطيع أبداً ليس فقط لأنها متعددة كبنود وكمسميات فردية مستقلة، ولكن أيضاً لتعقد حصرها وتحديدها كأصناف وتقسيمات تتداخل فيما بينها بحيث تتفرع إلى مصادر لانهائية من الموارد لانهائية الاستخدامات والمنافع، بالإضافة إلى علم الله وحده بحقيقة المتاح من خزائن وموارد ونعم وأرزاق هو وحده - جل شأنه - موجدها وخالقها والمتحكم الأوحد في توزيعها.

ولقد اتضح من النصوص الشرعية الصحيحة، أن الندرة هي حالة قدرها الله سبحانه وتعالى بشكل نسبي على البشر والخلائق، وأنه - سبحانه - قد أوضح (بعض) وليس (كل) الأسباب الضمنية التي يمكن الاستعانة بها من أجل تخفيف حدة الندرة الظاهرية أو المقدرة، وأرشد البشر إلى كيفية تحسين أوضاعهم المعيشية باتخاذ أسباب بعضها مادية وملموسة وأخرى ترتبط بالجانب الروحاني وترتكز عليه.

وفيما يلي يتم عرض شكل (1-4) كصورة توضيحية مختصرة لبعض الوسائل المساعدة على التخفيف من حدة مشكلة ندرة الموارد والتعامل الإيجابي الفاعل معها:

جدول (1-3)
بعض وسائل المعالجة الإيجابية لمشكلة الندرة

وسائل تعبدية	الرشد الاقتصادي	العمل والسفر وتحرى الحلال	عمل دنيوي وأخروي مزدوج	المصالح المتوافقة أو التوفيق بين الفرد والمجتمع
مثل: - الدعاء - الذكر والتسبيح - الاستغفار والتوبة - الرفقة الطيبة	- الاعتدال في الإنتاج والاستهلاك - إيتاء حق الغير	- التنقل والحركة نحو الأفضل تكسبا - تحرى العمل والمكسب والمستخدم الحلال - الإتقان في العمل والمفاضلة	- العبادات - الإنفاق التطوعي - متابعة التعبد بالعمل التكسبي الدنيوي	- حرية الفرد في العمل وحق التملك - حق المجتمع في الموارد الضرورية للحياة للمعيشة الأساسية

المبحث الثاني

الموارد الطبيعية والمصدر الإلهي هو الأوحد لإيجادها ولتوزيعها

كل الموارد الطبيعية بل والمنتجة بواسطة بشر هي إلهية المصدر والتوزيع الإجمالي

وتفيد تلك الجزئية من البحث في دحض المخاوف والمزاعم المتفشية بين الغالبية العظمى من البشر عن قصد، أو جهل أو غير ذلك – وفى إثبات الانعدام التام لفكرة محدودية الموارد الطبيعية والمعيشية للبشر بل ولجميع المخلوقات الأخرى، وتوضيح أن المحدودية الظاهرة هي حالة نسبية يقدرها الله سبحانه بدرجات متفاوتة لمسببات بعضها تم التعرف عليها، وكثير غالب منها لا يعلمها إلا الله.

أولا: "لا توجد ندرة مطلقة في الموارد لأنها جميعها إلهية المصدر"، مسلمة لا تحتمل الجدال

1- الندرة تحدث فقط في الموارد المتاحة للبشر – أما المصدر الإلهي فلا ندرة مطلقة فيه.

- ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ ..... ﴾ (النحل: 96).

2- الندرة في الموارد المعيشية المتاحة للبشر هي بقدر من الله لحكم لا يعلمها سواه، والموارد في أصلها لا محدودة، لكن القدر المتاح منها للبشر هو المحدود.

- ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحجر: 19-21).

3- الرزق والموارد المعيشية مضمونة في الأصل لكل مخلوق وليس للبشر فقط:

- ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ (هود: 6).

4- جميع الموارد الطبيعية لها خزائن إلهية أصلية لا تنضب أبداً:

- ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (المنافقون: 7).
- ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ .... ﴾ (هود: 31).
- ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ (ص: 54).
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (فاطر: 3).
- ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (الملك: 21).

ثانيا: نموذج توضيحي مبسط للمنهج التوزيعي الإلهي الذي يقوم على العدالة والموضوعية:

ففي ظل النظم الوضعية تباينت أساليب وسياسات توزيع الموارد والدخول بشكل واضح، ومن أكثرها شيوعاً النظام التوزيعي الرأسمالي الذي يقوم على مبدأ الحرية التامة في المعاملات والتوزيعات، وإتباع ما يسمى بـ "اليد الخفية" كوسيلة للوصول إلى حالة توازن مجتمعي تلقائي في ظل نظام السوق الذي يقوم على الاهتمام بالفرد على حساب المجتمع، ويعطى أولويات الاهتمام والرعاية للأقوى على حساب الضعيف المنبوذ دائماً حتى أن كان يمثل الشريحة الاجتماعية الأكبر. أما النظام الاشتراكي أو الشيوعي، فعلى عكس النظام السابق، يعطى الأولوية للمجتمع على حساب الفرد حتى أن كان مبدعاً، نشيطاً، منتجاً ومتميزاً، ويطبق مبدأ "من كل حسب قدراته إلى كل حسب حاجته" معتبرين هذا محققاً لما يطلق عليه "العدالة الاجتماعية" على الرغم من إنه يظلم الجاد والأكثر إنتاجاً حين يمنحه من ثمار العملية الإنتاجية قدراً أقل مما قد يمنحه لآخرين أقل تميزاً لكن اعتبروا ذوى أولويات في الاهتمام وفى زيادة العطاء لهم وفقاً لمطالبهم التي قد يكون مبالغاً في تقديرها خاصة إذا ما قورنت بما تم تقديمه من عمل أو جهد في المقابل.

أما الله الكريم الحكيم العادل فقد أوضح لنا قاعدة توزيعية عامة تقوم على إرشاد الإنسان للنموذج السلوكي الصحيح، ثم منحه حرية الاختيار مع تحميله تبعات ما اختار وسعى إليه بالفعل ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ

يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الشورى:19- 20).

وبالرجوع إلى الآيات القرآنية الكريمة، لوحظ أن المنهج الإلهي العادل في توزيع الموارد والأرزاق يقوم على شقين متقابلين وثالث وسط يمكن أن يطبق على الجميع بدون تمييز وفقاً للمشيئة الإلهية التي لا رد لها:

أ- أرزاق ومنح الدنيا تتاح أو تمنح للجميع بدون تمييز، لكن بتوزيع غير متساوي فلا بد من المفاضل التوزيعية.

ب- رفاهيات المعايش الدنيوية يختص بالتمتع بها أكثر أهل الدنيا ولا يستحب تمتع أهل التقوى بالكثير منها، لأن بعضها يخالف الضوابط الشرعية أو يصرف عن الاهتمام الصحيح أو الكافي بالوفاء بمتطلبات الآخرة مخلدة المقام والمصير.

ج- الدين يمنح للمؤمنين والتوابين والمرضي عنهم من الله، أو لفئات ترتضى مشيئة - سبحانه - منحهم استثناءات ما.

وفيما يلي بعض التفاصيل البرقية حول بعض النماذج التوزيعية كما ورد بالقرآن الكريم:

1- الدنيا تمنح للجميع بدون تمييز لكن مع المفاضلة في كم وكيف العطاء من أجل ديمومة التواصل البشرى وعمليات الإعمار للكون:

- ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الإسراء: 20-21).
- ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الزخرف: 32).

- ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ (الزخرف: 32).
- وحكمة المفاضلة ضمان التواصل البشرى وإعمار الكون وتيسير وتنفيذ مهام الخلافة البشرية على الأرض (وذلك كما اتضح من الآيات السابقة)، بالإضافة إلى تحقيق حالة التوازن السلطوي المجتمعي تقليلاً لحالات الظلم وذلك من خلال بث روح التنافس الإيجابي الدافع للجميع وتحقيق مناخ أمنى متوازن كما يتضح من الآية التالية: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (الحج: 40).
- والمفاضلة في الرزق تكون أيضاً من أجل توجيه كل إنسان لما خلق من أجله. "اعملوا فكل ميسر لما خلق له" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 1، 3410، ص 641)
- ومن أكثر نماذج المفاضلة وضوحا، الاختلاف الخلقي والوظيفي (القدري) بين الرجل والمرأة لأن الله تعالى خلق كل منهما من أجل إنجاز هدف معين ودور معين، بحيث تحدث منافسة تكاملية بين الطرفين تنتهي بتعظيم المنافع المعيشية في الحياة، أما عن الحملات المُفتعلة التي تركز على التمكين المطلق للعنصر النسائي في كل شيء حتى لو كان هذا على حساب حقوق الرجل ومستحقاته فكلها مخطئة لأنها تقوم على مبدأ أساسي خاطئ يدعى (ندرة وعدم كفاية) ما تحصل المرأة عليه من حقوق حتى الاقتصادي منها مع أن المسألة تقوم على منهج إلهي توزيعي يراعى المنح بما يتلاءم مع المهام والقدرات وبهذا يكون كل متميز على الآخر بشيء مختلف ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (النساء: 32).

- "الدنيا حلوة خضرة، فمن أخذها بحقه بورك له فيها، ورب متخوض فيما اشتهت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار" (صحيح الجامع الصغر وزيادته، مج 1، 3410، ص 641).
- ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ (البقرة: 201-202)

2- رفاهيات الدنيا وحدها يرتكز عطاؤها لأهل الدنيا وأحياناً يكون هذا استدراجاً وعقاباً:

وكما ذكر سابقاً، فالعطاء الإلهي ليس محظوراً على أحد، لكن لو اقتصر العطاء (فقط) على الموارد والأرزاق المرتبطة بمباهج الدنيا ومغرياتها التي حذر القرآن من (الانغماس) فيها و (الانشغال) باستجلابها، و(إدمان) تملكها واستخدامها، هنا لابد على الإنسان ألا يفرح بمثل هذا العطاء، فغالباً ما يكون ابتلاء شديداً من الله له في كيفية استغلال العطاء الممنوح وفقاً للتوجيهات (الربانية)، والأغلب أن يكون من قبيل الاستدراج، بل والعقاب الإلهي الغاضب من شدة معاصي عبده فيعطيه الدنيا حتى لا يتبقى لديه شيء يدخر لحسابه في الآخرة مخلدة العواقب.

- ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الزخرف: 33-35).
- ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ (آل عمران: 178).
- ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (التوبة: 55) (وتكرر نفس المعنى في آية 85 من نفس سورة التوبة).
- "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 3412، ص641).

- ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ (البقرة 200-202).

- ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (هود: 15- 16).

- ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (العنكبوت: 64)

- وعلى وجه العموم فإن مباهج الدنيا يجب ألا تمثل الهدف الأساسي لأي مؤمن رشيد التبصر لأنها كلها منافع مؤقتة. "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" (رواه البخاري).

- ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (آل عمران: 14).

3- الدين، ومنافع الآخرة تمنح فقط لمن يرضى الله عنهم من عباده المؤمنين والمتقين والتوابين.. الخ

- بداءة، على العكس ما قد يعتقد بعض العموم، فإن تمتع بعض الأصفياء بمنافع الآخرة لا يعنى أبداً أنهم سوف يحرمون بالكامل أو في المطلق من منافع الدنيا. وذلك كما تم التنويه إليه سابقاً وكما تؤكد الآية الكريمة الآتية ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ (النساء: 134).

- ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الروم: 14-15).

- "موضع سوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها" (رواه البخاري)

- ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ (النساء: 77).
- ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (الكهف: 46).
- ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ (طه: 75-76).
- ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ (الفاتحة: 6-7).
- ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (هود: 106-108).
- الجنة هي خير موارد وثمار الآخرة ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (النحل: 32).
- من ثمار الدين التمتع بولاية الله، وتحقق الأمن والأمان الداخلي والعام
- ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (يونس: 62).
- من ثمار الدين في الدنيا المحبة الحقيقية، وفى الآخرة سكنى الجنة وخيرات أخرى تفوق التصور البشرى
- ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ (التوبة: 71-72).

- تيسير الأمور والصعوبات وحلول تلقائية للمشاكل ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ (الطلاق: 4).
- التوجيه إلى المنجيات المربحات، وصرف المرضي عنهم عن مسببات العقاب الإلهي والمعاناة من الندرة التي تحدث نتيجة المعاصي وموالاة المنحرفين والإعداد التأهيلي للاقتصادي الرشيد النموذجي.
- ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ (الحجرات: 7).

الخلاصة:

إن الله تعالى هو الخالق لكل شيء وبالتالي فليس من المنطقي ولا المقبول أن نعتقد بوجود محدودية في الموارد لأن خالقها هو الله الذي أكد لنا على أن يضمن كفاية الاحتياجات المعيشية لكل دابة مخلوقة تدب على الأرض الدنيا، ولكن ما يبدو للبشر من محدودية فهو حالة نسبية مقدرة لحكم إلهية أوضح لنا بعضها وأخفى الكثير الأخر منها. واستنباطا (اجتهاديا) لما تقدم، يمكن القول بأن المحدودية تقترن بجوهر قاعدة التوزيع الإلهي المقصود للموارد الذي يقوم على اللامساواة (التكافؤية) وعلى ضرورة المفاضلة حيث يعتقد أن الحكمة من تلك المفاضلة تحقيق العدالة التوزيعية بحيث تتم بناء على: (لكل وفق الدور الذي خلق من أجله، ووفقا للابتلاء الموجه إليه،،، وبما يتلاءم مع جهده وعمله)، مع ضمان التواصل الاجتماعي واستمرارية حاجة كل إلى الآخر بما يتحقق معه ديمومة الإعمار والاستخلاف البشرى كما قدر له.

مزيد من التوضيح لأهم ما تضمنه الجزء الحالي يتضح في نقاط يتم عرضها من خلال شكل (1-5) التالي:

شكل (1-2)
الموارد بين الوفرة الإلهية المتاحة والندرة النسبية البشرية والتوزيعية

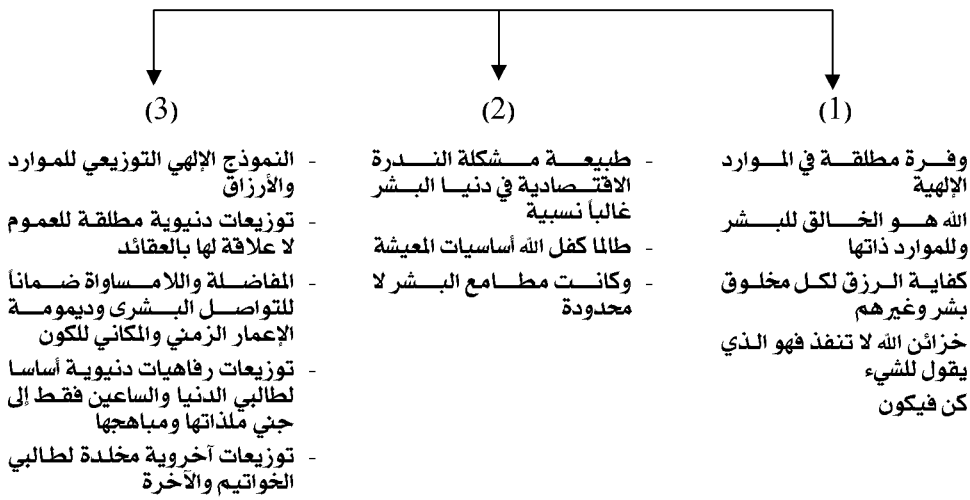

نموذج نظري مبسط لتصنيف الموارد والأرزاق إلهية المصدر بشكل مباشر:

من المنظور الوضعي عندما يتم تناول مصطلح (الموارد الطبيعية)، يقصد به الموارد التي تجود به (الطبيعة) التي ارتضى المنكرون لوجود إله وخالق بأن يعتبرونها إلهاً وخالقاً بديلاً لكن بمفاهيم تتلاءم وتوجهاتهم الإلحادية المخطئة حيث يقصد بالموارد الطبيعية Natural resources كما يتردد اصطلاحاً: أي مورد أو شيء "تجود به الطبيعة" (!!) مثل الأرض والخامات المعدنية والغابات والثروة السمكية والبترول وخصوبة التربة وأحوال المناخ الملائمة لنمو المحاصيل... إلخ.. حيث تعتبر الموارد الطبيعية إحدى عوامل الإنتاج الرئيسية، كما تعتبر عاملاً حيوياً مؤثرا على الميزة النسبية للمنتجات التي تعتمد عليها في التصنيع والمبادلات وغيرها. (تحسين التاجي الفاروقي 2009، ص 305)

وجدير بالملاحظة في هذا الصدد، أن إطلاق صفة (الطبيعية) للموارد قد يقبل إذا ما قصد بها تطبيق معيار من أجل التمييز التصنيفي للموارد عن تلك التي لا يكون للبشر دور في تواجدها أو توافرها أو تصنيفها، لكن تلك الصفة ترفض تماماً لو تم إطلاقها

بصفتها منتجة من قبل (الطبيعة) التي هي في الأصل (مخلوق) من قبل خالق أوحد لكل شيء. وتجنباً للخلط، فإنه يفضل استخدام مصطلح بديل أكثر مصداقية لحقيقة الموارد المقصودة وهو (الموارد إلهية المصدر) مع التصديق الكامل بأنه حتى الموارد والمنتجات بشرية التصنيع هي في حد ذاتها (إلهية المصدر) لكن بشكل غير مباشر وذلك عملاً بالتوجيه النبوي الذي لا ينطق عن الهوى "إن الله تعالى صانع كل صانع وصنعته" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 1، 1777، ص 366)

وقد تكتسب الموارد الطبيعية (كوصفها البشر) صفة (المال) وذلك استرشادا بما ورد بحديث نبوي يوضح فيه الحكمة من إتاحة تلك الموارد للبشر، ومن ضرورة حسن استغلالها وتسخيرها من أجل تحقيق الهدف الأسمى من وجود البشر على الأرض وهو عبادة الله عز وجل وأداء الامتحان الإلهي الموكل إليه، وفى هذا يقول النبي ﷺ: "إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادٍ لأحب أن يكون له ثان، ولو كان له واديان لأحب أن يكون لهما ثالث، ولا يملأ جوف أبن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 1، 1781 - 789، ص366).

- ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات: 56).

وبناء عليه، فعلى الرغم من أن الأصل في التشريع الإباحة، فإنه ليس بشرط أن تكون كل المتاحات من لموارد الطبيعية. أو إلهية المصدر مباح استغلالها بشكل مباشر (مثل الخنازير) أو تحويلي أو غير مباشر (مثل الخمور المستخرجة من ثمر العنب الحلال استخدامه على حالته) ومن هذا، يمكن أن تصنف الموارد إلهية المصدر إلى مباحة ومحرمة بالمطلق أو جزئياً.

كما يمكن تصنيف الموارد المعنية من منظور مختلف يقوم على (طبيعة) المنافع والاستخدامات المرتبطة بها وهناك أيضاً تصنيف ثالث يقوم على طبيعة المورد ذاته إن كان مادي أو معنوي، دائم، أو مؤقت.. إلخ.. وهذا التصنيف هو الأفضل تطبيقاً لأنه الأكثر شيوعاً وقابلية للتطبيق على جميع الموارد المعنية، بحيث يمكن كخطوات تالية بعدها أن يشار إلى التصنيفات الأخرى كمشتقات توصيفية تصنيفية فرعية لها.

- ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (النمل: 61).
- الجبال كمكان سكنى وكمنتزه وكوسيلة لدعم الأرض وحمياتها من الزلزلة ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ (النبأ: 6-7).
- ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ (النازعات 32-33).
- ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الحجر: 82)، ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (الشعراء: 149).
- الجبال كبيوت لمخلوقات أخرى نافعة كالنحل ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (النحل: 68).

3- **البحار (والمحيطات والبحيرات وما شابه)**، كمصادر للغذاء من أسماك وملح وطعام وغيره، ووسائل زينة من لؤلؤ وقواقع مبهرة، ووسيلة انتقال مائي تُكمل وسائل الانتقال الأرضية وتشمل على مباهج السياحة وتيسير الاتصالات بالدول الأخرى.

- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (النحل: 14).

4- **الأنعام** كمخلوقات متنقلة تتواجد على الأرض من أجل إنجاز أدوار ومهام ومنافع مقدرة لها مثل استخدامها كغذاء وكوسائل للتنقل، ووسائل للترفيه أو التسلية، وكجلود ساترة للأجساد وكوسائل تدفئة وفرش للجلوس والنوم... إلخ.

- ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (النحل: 5-8).

- ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (النمل: 61).
- الجبال كمكان سكنى وكمنتزه وكوسيلة لدعم الأرض وحمياتها من الزلزلة ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ (النبأ: 6-7).
- ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ (النازعات 32-33).
- ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الحجر: 82)، ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (الشعراء: 149).
- الجبال كبيوت لمخلوقات أخرى نافعة كالنحل ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (النحل: 68).

3- **البحار (والمحيطات والبحيرات وما شبابه)**، كمصادر للغذاء من أسماك وملح وطعام وغيره، ووسائل زينة من لؤلؤ وقواقع مبهرة، ووسيلة انتقال مائي تُكمل وسائل الانتقال الأرضية وتشمل على مباهج السياحة وتيسير الاتصالات بالدول الأخرى.

- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (النحل: 14).

4- **الأنعام** كمخلوقات متنقلة تتواجد على الأرض من أجل إنجاز أدوار ومهام ومنافع مقدرة لها مثل استخدامها كغذاء وكوسائل للتنقل، ووسائل للترفيه أو التسلية، وكجلود ساترة للأجساد وكوسائل تدفئة وفرش للجلوس والنوم... إلخ.

- ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (النحل: 5-8).

- ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (النحل: 66).

5- **النحل** كمصدر متكامل لمجموعة منافع ضخمة غذائية وعلاجية وغيرها

- ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ.... ﴾ (النحل: 69).

6- الموارد الغذائية من مزروعات وثمار

- ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ ﴾ (النحل: 67).
- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (الأنعام: 141).

والواقع أن آية محاولة لحصر ذلك الجانب المادي من الموارد لابد أن تبوء بالفشل الذريع، لأنه يتشعب كثيراً بصنوفه الأساسية كثيرة التفرع والتداخل - بدورها - مع التعدد صعب الحصر لخصائص كل صنف من تلك الموارد حتى أن بدت ملموسة للعيان. وصدق الله العظيم في قوله ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾ (إبراهيم: 34). لهذا، يجب التوقف عند هذا القدر من الأمثلة وليتم الانتقال إلى عرض أمثلة من الأصناف الأخرى من الموارد الإلهية صعبة الحصر وصعب إتيانها قدره من الشكر وحسن التبصر.

ثانيا: الموارد الكونية الميسرة للمعايش وللأنشطة:

وهى موارد نادرة بل فريدة لا وجود لها أبداً في دنيا الصناعة البشرية ولا يمكن أن يدعى بأن له أي دخل في توفيرها، وبدونها تتوقف المعايش الطبيعية لجميع المخلوقات، ومع هذا فهي مغبون حقها في التقدير والتقييم الحصري البشرى لها باعتبارها موارد اقتصادية من حيث منافعها، ومجانية من حيث المقابل الصفري المدفوع للحصول عليها، بل وقد نال الكثير منها ظلماً من الإنسان الذي تم تسخيرها من أجل تيسير معايشه وذلك بإساءة الانتفاع بها بتهور سلوكياته في التعامل معها، مما تسبب - مثلا - في التأثير السلبي

على المناخ وإحداث ثقب بالأوزون الذي ينذر بكوارث خطيرة. وعموماً فلنركز هنا على الجانب المضيء بالتعرف على بعض الأمثلة لتلك الموارد المغبون حقها.

1- **تعاقب الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم** لتقديم منافع خدمية معيشية بالغة التنوع:

- ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾ (النحل: 12).
- ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾ (يونس: 5).
- ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ ﴾ (النحل: 16).
- ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا ﴾ (يونس: 67).
- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ٤٧ ﴾ (الفرقان: 47).
- ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ ﴾ (النبأ: 10-11).

2- **البرق والرياح والظواهر الطبيعية** لأداء وظائف وأدوار تيسيرية مختلفة لديمومة المعايش والإعمار

- ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤ ﴾ (الروم: 24).
- ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ ﴾ (الشورى: 32-33).

3- **الغيث أو المطر النافع** الذي يتكون من السحاب وينزل من السماء كمصدر للشرب والاسترزاع والاستشفاء وتخصيب الأراضي وتنظيف البيئة، ومنافع أخرى يصعب حصرها مما نؤكد إنه لا ندرة أصلاً في مورد "الماء".

- ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ﴾ (النحل: 60).
- ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ ﴾ (النحل: 65).
- ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ (النحل: 10).
- ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ (الأنفال: 11).

ثالثا: موارد معنوية وترويحية واسترخائية ومحددة للنشاط والصحة: ومن الأمثلة القليلة على ما لا يمكن أن يحصى منها:

1- **النوم المريح** الكافي غير المتقطع ﴿ وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا ﴾ (الفرقان: 47).

2- **المشاعر** من ضحك وفرح وشعور بالإيمان وعدم الخوف وغيرها بالإضافة إلى متقابلات تتوازن معها الأحوال من بكاء وخوف..!؟

- ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ (النجم: 43).
- ﴿ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (الروم: 4).
- ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (البقرة: 38) توجد آيات كثيرة متعددة بهذا المعنى.
- ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾ ﴾ (قريش: 3-4).
- الخوف المحمود هو الرادع عن المعصية وهو المصحوب بالطمع في رحمة الله ومعيته "هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا"
- ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾ (الروم: 24).

- ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾ (النور: 55).
- النعاس كوسيلة استرخاء وتجديد نشاط وتخلص من المشاعر المرهقة أو المستثارة بفعل تقلبات المواقف والأحداث المعيشية المستمرة ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ ﴾ (الأنفال: 11).

3- **معية الله للصالحين** من عباده وتسخير جنوده (الصعب حصرهم) لدواعي الدعم والحفظ بأشكال مختلفة

- ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الأنفال: 26).
- ﴿ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ﴾ (الأنعام: 61).
- ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾ ﴾ (الطارق: 4).
- ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾ (التوبة: 26).

4- **شرح الصدور والسكينة والتيسير**

- ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ ﴾ (الشرح: 1).
- ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ (طه: 25- 28).
- ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾ (الزمر: 22).
- ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾ ﴾ (الفتح: 4).
- ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ ﴾ (يونس: 26).

- ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ (التوبة: 15).
- القبول، والصيت والهيبة ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ (الشرح: 3).
- الملك والهيمنة ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (آل عمران: 26).
- الحكمة والفكر العقلاني الصائب الرشيد ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ (البقرة: 269).
- التأليف بين القلوب المتنافرة بما يحسن الإنتاجية وثمار الأنشطة ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (آل عمران: 103).

رابعا: موارد محرمة أو ضارة في المطلق أو جزئيا وتتطلب التعامل معها بحذر أو بتنقيحات معينة

- ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ (المائدة: 3).
- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (البقرة: 219).
- فإن كان الخمر المنتج البشرى من العنب حراماً، فالعنب كموارد إلهي أصلى حلالاً بل ونعمة من الخالق:
- ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (المؤمنون: 18-19).

- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس: 24-32).

- ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (البقرة: 173).

- "نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن أكل ذي مخلب من الطيور" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 2، 6859، ص 1157)

خامسا: الإنسان أيضا مورد طبيعي لأنه من خلق الله وجاء من خلال استزراع بشرى وأصبح هو ذاته أحد العوامل الأساسية للإنتاج ولتحقيق إعمار الكون المستدام.

1- **أصل مادة خلق** ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الحجر: 26).

2- **من الموارد المكملة في خلق الإنسان الطبيعي** حتى تتحقق الوظائف المستهدفة من تواجده الاعماري على الأرض.

- ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ (البلد: 8-10).

- ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (العلق: 5).

3- **خلق نوع مزدوج من أجل التزاوج** وحفظ النسل وبقاء البشرية في إتمام أمانة الخلافة على الأرض.

- ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم: 21).

4- **الأسرة الممتدة** من الموارد الإلهية المغبون حقها في التحليل الاقتصادي الوضعي مع أنها تعتبر بمثابة مجتمع اقتصادي متكامل

- ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ (النحل: 72).

5- **اكتساب حبّ الآخرين خاصة الزوجة**، من الموارد المعنوية الدافعة للفعاليات المعيشية الإيجابية.

- قال رسول الله ﷺ واصفاً حبه لخديجة رضي الله عنها : "إني رزقت حبها" رواه مسلم
- "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة" رواه مسلم
- "إذا أحب أحدكم أخاه، فليعلمه إنه يحبه" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 11528 ص 113).
- "إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إني قد أحببت فلاناً فأحبه، فينادى في السماء، ثم تنزل له المحبة في الأرض، فذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ (مريم: 96) وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل إني أبغضت فلاناً، فينادى في السماء، ثم تنزل له البغضاء في الأرض" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 1، 284 - 117، ص 114).

6- **الحب والانتماء** كأساس شرطي للمعاملات البشرية المجتمعية الفاعلة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (التوبة: 54).

7- **الملك والعزة والجاه** ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (آل عمران: 26) وهذا المورد يمكن أن يصنف أيضاً هو والحب والانتماء في فئة الموارد المعنوية غير المحسوبة، لكن تم ضمها هنا باعتبارها لصيقة بمواصفات وخصائص الإنسان والتي تؤثر في حالته المهنية كرئيس أو كمرءوس وبالتالي تعتبر من ضمن محدداته كعنصر إنتاجي مهني.

الخلاصة:

إن الموارد الإلهية يصعب بل يستحيل حصرها وتحديدها بشكل منفرد أو منفصل أو جماعي، وهى ليست متعددة فقط من حيث الكم، لكنها أيضاً تتداخل وتتشابك ويتوالد عنها أعداد لانهائية من المنافع البشرية المباشر وغير المباشرة – لكن هذا لا يمنع من محاولة تحديد صورة حصرية تصنيفية تقريبية للأصناف التي يمكن أن تتواجد الموارد الطبيعية من خلالها.

وبعرض المحاولة التصنيفية الجارية، اتضح أن هناك أنواع كثيرة من الموارد الطبيعة، أكدت النصوص الشرعية على منافعها الاقتصادية والمعيشية، ومع هذا جهلها الإنسان أو تجاهلها في كتاباته وتقريراته المعتادة، ومنها الموارد المعنوية والموارد الكونية غير الملموسة وهو ما يتطلب إعادة النظر في تأصيل هذا الموضوع التقديري الحيوي.

وفيما يلي موجزاً للصورة الجارية حول أهم أنواع الموارد والأرزاق إلهية المصدر وهو ما يتضح من خلال شكل رقم (1-6) التالي:

شكل (1-3)
أهم أشكال الموارد والأرزاق إلهية المصدر

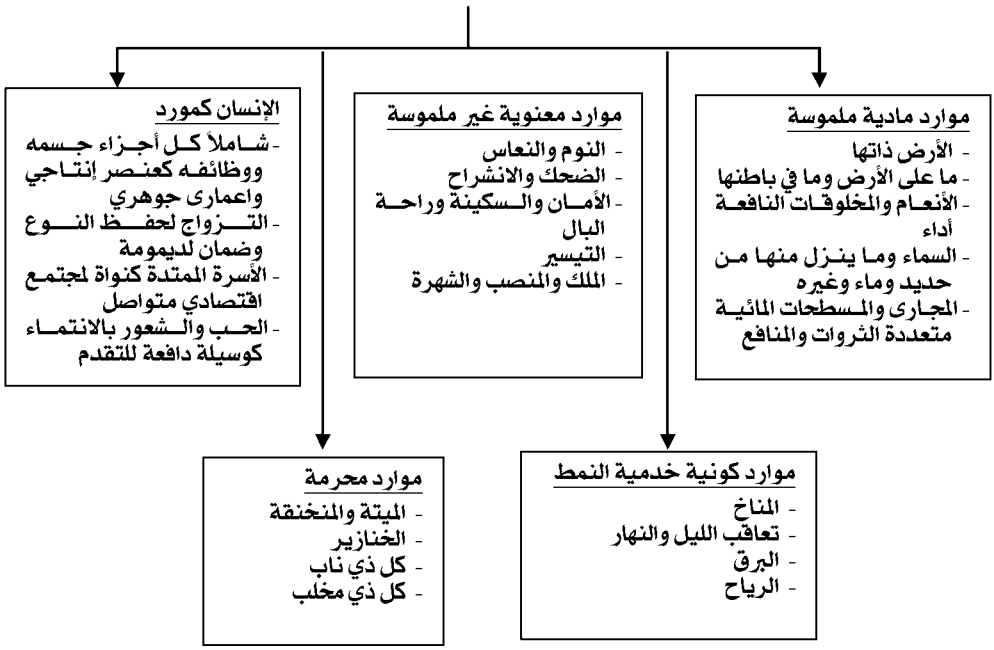

المبحث الثالث

لمحات حول الواقع البيئي بين اليأس والرجاء

في الفصلين السابقين، تم عرض تحليل تصنيفي موجز لمصطلح الندرة كما ورد ببعض النظريات الاقتصادية الشهيرة، ثم تأصيل توضيح ذلك المفهوم بالاستعانة بالنصوص الشرعية، مروراً بعرض توضيحي موجز لبعض الأشكال الهامة للموارد الطبيعية الاقتصادية على ضوء ما عرضته الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من دلالات إلهامية داعمة لصحة المعروض الحالي - وبهذا أصبح لدينا صورة توضيحية نظرية شبه متكاملة حول ماهية الموارد الطبيعية الاقتصادية، وطبيعة ما تبدو عليه من حالة ندرة، مصحوب هذا، ببعض التوجيهات التي تساعد على كيفية التعامل الصحيح مع مشكلة ندرة الموارد، وكيفية الوصول إلى حالة الإشباع العقلاني وليس البشرى الجامح بطبعه.

وبعد الانتهاء من الاستعراض النظري التوضيحي السابق، علينا أن ننزل إلى أرض واقعنا المعيشي المعاصر الذي قد يذخر بالكثير من مظاهر الشر (الناجم عن سفاهة سلوك البشر)، ولكنه لا يخلو مؤكدا من منابع ومكامن فرص لاستجلاب خيرات ومنافع تتاح للإنسان، الخطاء بطبعه، برحمة الله مالك هذا الكون وبفضله، وسوف يتم ذلك في الفصل الجاري من خلال إلقاء الضوء على ما يحدث في عالمنا البيئي المعاصر من منذرات تستحق التجنب وفورية المعالجة، ومأمولات تستلزم الرعاية والتطوير من أجل التقليل من حجم المشاكل الاقتصادية الراهنة وتحويل الممكن منها إلى حلول ووسائل لتحقيق وفرة متنامية في الموارد والإمكانيات.

بعض المنذرات التي تهدد بتدهور الموارد وتلوث البيئة والخلل الطبيعي التوازني

أولا: ابتداع نظريات ونظم استراتيجيات اقتصادية مدمرة لاقتصاديات الدول المستضعفة والمستنفذة لمواردها لصالح الدول القوية ومنها:

1- نظرية قارب النجاة (1973م) "جاريث هارون" أمريكي الجنسية:

حيث تصور النظرية، دول العالم الغنية كمجموعة متميزة تعيش داخل قارب لا يكفى إلا لهم، بينما تسبح بقية دول العالم في بحر الجوع، لهذا، تحاول تلك الدول المنكوبة التشبث بقارب الأغنياء للتخلص من بؤس حالتهم وللاستفادة بما لديهم من موارد – والنظرية تحذر من أن يسمح أهل القارب لهؤلاء المنكوبين بالاقتراب حيث يقلبونه بركابه فيغرق الجميع نتيجة لزيادة الحمولة المؤكد حدوثها على المركب المعد فقط لركابه الأصليين، وبالتالي تطالب النظرية بقطع المعونة فوراً عن البلاد التي لا تتبع وسائل تحديد النسل وذلك باعتبار الزيادة السكانية سببا في معاناتهم وفى تهديد الأمن الغذائي والمعيشي للدول الغنية أيضاً (محمد سيد محمد، 1988، ص 116)

2- النظام العالمي الجديد:

الذي بدأت براثن ظهوره في مايو 1974 وقت انعقاد الدورة الخاصة بالجمعية العامة للأمم المتحدة والتوصية بأن يكون العالم كله بمثابة قرية واحدة متكاملة، مع إلغاء أية حواجز تفصل بين الدول وتميز فيما بينها، أيا ما كانت طبيعة تلك الحواجز(جغرافية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، دينية... الخ) !! وتحقيقا لتلك الحالة المقترحة، فرض على الدول الضعيفة ضرورة اتباع ما يسمى بسياسات الإصلاح الهيكلي من أجل إحداث حالة تقارب بين اقتصاديات دول العالم والوصول إلى حالة تكافؤية تسمح لها بالمشاركة المعيشية على الأرض مع الدول القوية الأخرى على ذات المستوى الاقتصادي المتقدم الذي تتمتع به الدول المتقدمة والغنية! ولكن هذا المنهج التنموي الجديد المفروض على الدول الضعيفة، تسبب للأسف في إهلاك وتبديد كثير من الموارد الطبيعية واختلال الكثير من التوازنات الطبيعية، حيث فاقت المطلوبات الإصلاحية المفروضة (بحكم الاتفاقيات الدولية المرتبطة بهذا النظام) القدرات الفعلية للدول الصغرى والضعيفة والمتخلفة خاصة

تلك التي تقوم اقتصادياتها على أنشطة أولية أو شبه بدائية مثل الأنشطة الزراعية والتعدينية غير الصناعية.

ثانيا: التدهور البيئي المناقض لأهداف التنمية المستدامة للموارد:

فمنذ التسعينيات، والعالم أجمع يعانى من تفاقم المشاكل البيئية متعددة المظاهر وخطيرة العواقب حتى أنها بلغت في فترة التسعينيات وحدها أكثر من عشرة آلاف مشكلة بيئية من أبرزها تلوث الهواء والماء أو الملوحة والتصحر ونضوب كثير من الموارد الطبيعية خاصة من مصادر الطاقة (مثل البترول والفحم) واضمحلال طبقة الأوزون وتزايد الضوضاء إلى حد التلوث السمعي، وتآكل الشواطئ، وغرق أعداد متزايدة من المدن الساحلية، وتعرض أعداد متزايدة من الكائنات الحية للانقراض (رجب السيد، 97، ص40 - 43، محمد الزوكة، 2000، محمد الفقي، صفحات متفرقة)

وقد أشير في الدراسات المتخصصة إلى أسباب كثيرة لحدوث المشاكل المذكورة منها التقنيات الحديثة والثورة الكيماوية وتفشى الصراعات المسلحة، وسوء استغلال الموارد الأولية، وتراكم النفايات النووية... إلخ (محمد الزوكة، 2000، محمد الفقيى، 93، حازم الببلاوى 1997، ص 294)

ثالثا: تفشى الفساد Corruption والجرائم الاقتصادية Economic Crimes خاصة في الدول النامية.

هناك أشكال متعددة من الفساد الذي تفشى وأصبح ظاهرة، بل أسلوب حياة مفروضة يتسبب في إحلال الرديء محل الجيد والطالح مكان الصالح - ومن الأمثلة عليه: الفساد الإداري، الفساد السياسي، الفساد الوظيفي، الفساد التعليمي.. والفساد الاقتصادي الذي يشمل الجرائم الاقتصادية المتنامية ومن أهم أشكال الجرائم الاقتصادية التي أثرت سلباً على تدهور البيئة والموارد، الزحف العمراني غير المقنن على الأراضي الزراعية الخصبة مع ابتداع استصلاح الأراضي وإعمار مناطق الظهير الصحراوي كبديل لأراضي خصبة متاحة لكن يتم إهدارها بيد ذات البشر (!)، وكذلك انتشار المناطق العشوائية والتعدي على الأراضي المملوكة للدولة مثل تلك التي يتم إنشائها على ضفاف النيل في مصر ويتسبب في تلوث

مياهه وتشويه الجمال الساحر للمنطقة المحيطة به، والمبالغة في قطع الأشجار المعمرة للانتفاع بأخشابها، واللجوء إلى حرق المخلفات الزراعية الملوثة للهواء - والمبالغة في استخدام المبيدات الكيماوية الزراعية وفى استخدام الهرمونات والجينات الوراثية لتسمين المواشي والطيور وتحسين (النوع!!)، كما زادت حالات الغش في تسويق الأعلاف والأسمدة حتى تلك التي يتم استيرادها من الخارج مما يتسبب في حدوث حالات كثيرة من العفن المهدر لمحاصيل كاملة كما حدث للبطاطس المصري المصاب بالعفن على مدى عدة أعوام متتالية نتيجة لاستخدام أسمدة كيماوية فاسدة مستوردة من بريطانيا.

ولقد تم تقدير قيمة تكلفة الفساد والجرائم الاقتصادية بما يتراوح بين 3٪ إلى 5٪ من قيمة عوائد الاقتصاد العالمي، وفى عام 2002 قدرت قيمة خسائر إجمالي اقتصاديات الدول الإفريقية نتيجة لتفشى ظاهرة الفساد الاقتصادي فيها، ما يعادل 25٪ من إجمالي قيمة ما تحقق من الناتج القومي في الاقتصاد الإفريقي ككل. (د/ أحمد معبد، 2012، ص 11، 10)

رابعا: تفاقم الأزمات الاقتصادية المتوالية العالمية واستمراريتها:

ومن أهم ما حدث منها خلال القرن العشرين وما يليه.

1- الأزمة الاقتصادية 1929-1923م

وحدثت في الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى التي اندلعت في عام 1914 (والتي قيل كمبرر لاندلاعها أنها قامت من أجل إقامة عالم جديد أفضل) (هندريك فإن لون، 58، ص223) وكان من عواقبها المخيفة حدوث شبه مجاعات، ووقوف المواطنين في طوابير كبيرة للحصول على خبز (قديم) تم إعداده من أسبوع أو أكثر (د/ زينب صالح الأشوح، 2010، ص 23)

2- الأزمة الاقتصادية يوم الاثنين- أكتوبر 1987م

حدثت في الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، واعتبرت دليلاً على فشل متخصصي الاقتصاد في تطبيق توقعاتهم الاقتصادية المبنية على حسابات دقيقة، حيث حدث انهيار مفاجئ في البورصة في هذا التاريخ مخالفاً لكل التنبؤات المعلنة.

3- الأزمة الاقتصادية الجماعية الآسيوية، أكتوبر 1997م

وحدثت تلك المرة لدول جنوب شرق آسيا المعروفة آنذاك بصفة "النمور الآسيوية" وكان سببها ضخامة أعباء القروض الائتمانية، حيث امتدت الأزمة إلى دول أخرى مثل روسيا والبرازيل (المرجع السابق، ص 26، 25)

4- الأزمة الأمريكية الأوروبية، الاثنين 2008/9/15م

نتيجة للإفراط في عملية الإقراض، دون وجود احتياطي سيولة كاف من ناحية، ولا وجود ضمانات كافية للسداد من ناحية أخرى. (المرجع السابق ص 30، 28)

وحتى الآن، تعانى دول العالم في غالبيتها العظمى من أزمات اقتصادية عالمية جديدة تبدأ بإعلان إفلاس الكثير من المصارف والشركات، ثم تمتد لإشعال معدلات التضخم مما يتسبب بدوره في تراجع عمليات تنمية الموارد الطبيعية والحفاظ على إنتاجيتها الطبيعية مما أدى بالتبعية إلى تنامي أزمات إنتاجية للمتاح من الموارد، أو استخراجية أو استصلاحية أو استزراعية.

خامسا: تفشى الصراعات بين الغالبية العظمى بين دول العالم وانتشار الحركات الإرهابية مجهولة الهوية

وقد صاحب هذا تنامي وتكثف محاولات ما زالت جارية من أجل إعادة تقسيم الحدود الدولية، وإلغاء منطقة الدول العربية وإحلال ما يسمى (بالشرق أوسطية) محلها كمطمع غربي / صهيوني مشترك، أو (الشرق أقصى) كمطمع إيراني، أو (الخلافة) كمطمع تركي أو (السوفيتي) لإعادة إحياء إمبراطورية الدب الروسي.. إلخ، وواكب هذا ما يسمى بـ (ثورات الربيع العربي) التي بدأت منذ 2010م في تونس وبعدها في مصر ثم استشرى لهيبها إلى عدد كبير من الدول العربية الأخرى وصاحبه الكثير من التدمير والتخريب لموارد الدول المنكوبة، وتدمير مصادر الطاقة فيها، وأصبحت المنطقة العربية على وجه الخصوص مرتعاً لبدايات ملتهبة لحرب عالمية ثالثة لكنها في تلك المرة تحدث في نطاق (مركزي) عربي يستهدف تدميره تدريجياً بهدف استفادة الدول الكبرى من موارده الطبيعية بالغة التنوع،

وبالفعل تم تدمير الكثير والكثير من موارد العراق وليبيا والسودان واليمن وجارى التحالف والتكالب البشع على سوريا من كل التيارات الطامعة المتعارضة (أمريكا، إيران، روسيا، تركيا، وفى منتصف سبتمبر 2016، يحين دور إسرائيل لتبدأ ضرباتها، وعلى جانب مقابل توجد ضربات معارضة غير معروفة الهوية والتوجه الحقيقيين، وهذا كله، بالإضافة إلى التهديدات والتحرشات الصراعية المستمرة خاصة الإيرانية والقطرية منها ضد السعودية والبحرين مما تسبب في تدمير الكثير من ثروات دول الخليج من أجل تحقيق حالات أمن لا يعلم سوى الله متى تستتب ولصالح من!!.. وكل هذا مع تربصات واستفزازات لانهائية ضد أمن مصر وطمعا في الاستحواذ على أكبر دولة بالمنطقة محل الصراع الجشع وعلى إحدى أكثر الدول العربية ثراء بالثروات وبالبشر، على الرغم مما يبدو من حال سيء ظاهري لاقتصادها الراهن.

سادسا: إذن، يا ترى، ما هو الوضع الراهن والفعلي في مصر؟!

كما صرح الدكتور شريف دولار الخبير السابق في التنمية الاقتصادية بالأمم المتحدة في أحد المواقع الإلكترونية المتخصصة، فإن مصر قد واجهت خطر الإفلاس مرتين – الأولى في عهد الخديوي إسماعيل نتيجة لقيام بريطانيا برفع قضية ملفقة ضد شركة قناة السويس المصرية / الفرنسية) متهمة مصر باستخدام السخرة مع العمال مما تسبب في وقف حفر القناة لمدة عام كامل وإهدار كميات ضخمة من الموارد الراكدة، ثم استخدام كراكات وروافع باهظة التكاليف مما اضطر مصر إلى إعلان إفلاسها في الخارج، وكان الإفلاس الثاني في عام 1989 حيث اختفى النقد الأجنبي نتيجة لإتباع سياسة اقتصادية راكدة (على حد قول الراوي)، وعجزت البلاد عن سداد ديونها المستحقة، ولم ينقذ الوضع إلا بعد مشاركتها في حرب الخليج مما أسفر عن انخفاض ديونها بنسبة 50٪ مع جدولة الباقي (25 مليار دولار) على خمس سنوات تالية، حيث يتضح الدور الإيجابي الذي لعبه الجيش المصري آنذاك في حل الأزمتين سوار بالمواجهة الإيجابية تجاه العدوان الثلاثي على مصر، أو بالمشاركة في أنشطة دفاعية في دول أخرى من اجل استجلاب دخلا يفيد كحل جزئي للمشاكل التمويلية القومية

لكن حال البلاد عاد – للأسف – إلى التدهور بالغ الخطورة بعد أحداث 2011م وما تلاها من مظاهرات واعتصامات وحركات تخريبية وتدميرية لأنابيب الغاز وللأبنية والمنشآت والمناطق الإدارية والأمنية والسياحية والاقتصادية الحيوية، بالإضافة إلى التعديات المستمرة حتى الآن على أراضي الدولة والزحف العمراني السفيه على الأراضي الزراعية وإتلافها من أجل تشييد مساكن ومقابر ومراكز تجارية كبرى كبديل (كما شاهدنا من خلال جولاتنا الميدانية لبعض مناطق مصر للمشاركة في دراسات التخطيط الاستراتيجي القومي التابعة لوزارة الإسكان)، وبدأت مظاهر الفساد والفوضى تعم بشراسة وجرأة جميع أرجاء البلاد فضربت السياحة في مقتل وأصبحت البلاد في حالة اقتراض دائم فتفاقمت ديونها الخارجية والداخلية أيضاً بما يزيد من سوء الأحوال تدهورا وسوداوية، وكادت مصر أن تلحق بغيرها من دول المنطقة المنهارة لولا رعاية الله تعالى لها، وبعدها حكمة بعض أبنائها المخلصين، وعقلانية ويقظة جيشها البطل المدرب على التعامل الفعال وقت الأزمات وعلى النهوض اليقظ السريع، والمواجهة الإيجابية لتحقيق كل أنواع الأمن الوطني، بل والعربي الدفاعي والغذائي والاجتماعي وغيره. ولو أن هذا الدور الفعال مازال يواجه حربا شرسة مناوئة من قبل عناصر كثيرة هدامة من التيارات المعارضة والمتعارضة في مصالحها مع مصلحة الوطن بالإضافة إلى التربصات المتزايدة من دول الجوار الملتهبة بمخاطرها الذاتية والخارجية، ومن دول المطامع المعتادة أيضاً.

وكنتيجة لما سبق وغيره، تتعرض مصر لمواجهة مشكلة اقتصادية كبرى تهدد الأمن الغذائي والاقتصادي للمجتمع حتى أنها أصبحت مستوردة لما كانت تتميز بإنتاجه بل وبتصديره، فعلى سبيل المثال، بعد أن كانت مصر مصدرة لأفضل أنواع القطن في العالم (حتى إنه كان يسمى بالذهب الأبيض)، أصبحت مستوردة للقطن الهندي وغيره، كما تورطت في الاستمرار في تطبيق اتفاقية الـ ""كويز" لصالح القطن والخامات الإسرائيلية كشرط أمريكي مجحف، وضرب البطاطس المصري – الذي كان يمثل أفضل بطاطس تصديري على مستوى العالم – في مقتل نتيجة لاستخدام أسمدة بريطانية مستوردة تسببت في إصابة محصول كامل بالعفن ورفض الدول لاستيراده، وعلى نفس المنوال السيئ، أصبحت

مصر تستورد القمح واللحوم وغالبية الموارد الغذائية المزروعة والمصنعة من الخارج، وللأسف، فهذا وغيره من الكثير المؤسف أصبح ما يشهده الواقع العملي على الرغم من أن الإحصائيات المنشورة الرسمية تظهر الحال بشكل تفاؤلي أكثر.

وفيما يلي صورة مختصرة توضيحية لبعض المؤشرات السكانية والبيئية المرتبطة بالوضع في مصر مؤخرا:

1- يصل تعداد السكان في مصر إلى ما يقارب 95 مليون نسمة في 2016 وذلك في مقابل تعداد سابق قدر بـ 77 مليون نسمة في عام 2010 (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، ومعهد التخطيط القومي فبراير 2010، ص103) وذلك بزيادة 18 مليون نسمة (على الأقل) في خلال الست سنوات الأخيرة – وغير واضح أن كان التعداد الحالي قد أخذ في الاعتبار، أم تجاهل، حساب الأعداد المتزايدة للمهاجرين إلى مصر من دول الجوار المنكوبة (مثل العراق وسوريا وليبيا والسودان) وغيرهم من المستثمرين غير المصريين الذين يتقاسمون مع أهل البلد الأصليين ذات الموارد المحلية المتناقصة والذين يمثلون – بالإضافة إلى السكان المصريين الأصليين – عنصرا إنتاجيا متزايد التحميل على عنصر إنتاجي طبيعي مازال شبه ثابت أو يبدو متآكلا متمثلا في الأرض وإداراتها.

وعلى وجه العموم، فعلى الرغم من أن القوة البشرية تعتبر أهم مورد طبيعي وعنصر إنتاجي فاعل لأي دولة، إلا إنه ينظر إلى تلك الزيادة السكانية في مصر باعتبارها عبئاً على الموارد الطبيعية الأخرى للدولة كالمساحة الأرضية المتاحة للإسكان، والموارد الزراعية المتاحة لتوفير الطعام، والمياه الصالحة للاستخدام الآدمي المتاحة لمقابلة الاحتياجات البشرية المتزايدة والتي أصبحت مشكلة كبرى أكثر خطورة بعد بناء سد النهضة في إثيوبيا.

وخلاصة القول، فإن التزايد السكاني بحالته الراهنة متخلفة التعليم والتأهيل والإعداد المهني والإنتاجي الإبداعي، يعتبر عائقا ضاغطاً على الاقتصاد المحلى وموارده لا معمراً لها لأن الغالبية من تلك الزيادات السكانية تمثل عناصر متواكلة تأخذ بلا مقابل وتسلب بلا إضافة، وتطلب بدون أي استعداد للمبادرة بالعطاء الإيجابي الفعال.

2- **نوعية الهواء في محافظات مصر**

ملوث وغير مطابق للمواصفات الصحية المعيشية المطلوبة – ومن أسباب تلوثه: أن مصر تغلب عليها المناطق الصحراوية الكثيفة بالأتربة التي تتطاير إلى بقية أحياء الجمهورية بفعل الرياح خاصة الموسمية (ظاهرة الخماسين) ويزيد من شدة تأثيراتها، الندرة النسبية للأمطار، وذلك مع تنامي ظاهرة الانعكاس الحراري المسبب لاحتباس الملوثات قريباً من سطح الأرض، **والسبب الثاني** في هذا التلوث الجوى يرجع إلى الأنشطة البشرية غير الصديقة للبيئة والمصحوبة بملوثات الأنشطة الصناعية ومحطات الكهرباء والصناعات الغذائية ونفاياتها (معهد التخطيط القومي فبراير 2010، ص103–105)، بالإضافة إلى انتشار العشوائيات المصحوبة بسلوكيات الكثير من الطبقات غير الواعية بالضوابط الصحية والبيئية المطلوبة، مع التخلص غير الآمن من النفايات الزراعية وأشهرها حرق قش الأرز الذي يتسبب في بث جسيمات ضارة تعلق في الهواء (مثل الدخان والغبار والأبخرة والضباب).

3- **نوعية مياه نهر النيل وحالتها الحالية**

أصبحت تلك المياه – للأسف – أكثر تلوثاً نتيجة لسلبيات الأنشطة الصناعية والزراعية والسياحية التي نجم عنها اختلاط مياه النيل بمخلفات صناعية (صرف 116 منشأة في عام 2010 فقط) وصرف مخلفات معالجة مياه الشرب، والصرف الصحي(من المنشآت والقرى والسفن السياحية المقامة على ضفاف النيل) ومياه الصرف الزراعي (شاملة بقايا المبيدات والمخصبات..) والمخلفات الصلبة (المرجع السابق ص 115، 114)، وكذلك إلقاء الجثث الميتة للحيوانات وروثها، بل ولبعض البشر القتلى فيه، وأصبح ماء النيل يعانى أيضاً من غزو "ورد النيل" المستجلب لقواقع البلهارسيا والمجفف للمياه والمعيق للملاحة وللحركة وللتنقل بداخل ذلك المجرى المائي الحيوي لمصر كلها.

4- **التشجير والحدائق والغابات الشجرية**

تمثل أحد عناصر الموارد الطبيعية المتجددة اللازمة لحفظ التوازن البيئي ولضمان تحقيق

التنمية البشرية والمعيشية والاقتصادية المستدامة (المرجع السابق، ص 122) ومع هذا فقد تناقصت المساحات المخصصة لهذا أو تم إفساد الكثير منها نتيجة للكثافة السكانية المرتفعة والمستمرة في تفاقمها مع الازدحام الشديد بالمركبات، وزاد من سوء الحال تنامي ظاهرة التعدي الصارخ على ممتلكات الغير وممتلكات الدولة نفسها وتحويل المناطق السياحية الجميلة والخضرة والماء المفترض أن يكون ملكاً للشعب كله ملكاً لمن يدفع أكثر، وتحت تصرف الأكثر قدرة على استخدامها لأماكن سياحية تكسبية (مغلقة) !!

5- **التنوع البيولوجي**

تحظى مصر بنظم بيئية طبيعية تتيح لها الاحتواء لما يزيد عن 20 ألف نوع من النباتات والحيوانات، منها أنواع مستوطنة في مصر ومنها ما هو نادر، ومنها ما هو مهدد بالانقراض ويبلغ عدده نحو 69 صنفاً (المرجع السابق، ص 124) ومثل غيره من الموارد الطبيعية والبيئية يتعرض هذا المصدر البيولوجي الثرى للتدهور نتيجة للعوامل السابق سردها بالإضافة إلى المبالغة في استخدام التقنيات الحديثة المتطورة التي تعتبر في معظمها المتهم الرئيسي في تدمير البيئة والموارد الطبيعية والإخلال بالتوازن الطبيعي الذي نصح الطبيعيون من قبل بعدم التدخل البشرى فيه أبداً.

وجدير بالذكر أن خدمات التنوع البيولوجي يفيد كثيراً في التنمية الفاعلة لجميع الموارد الزراعية والحيوانية والسمكية وفى مجالات الطب والصناعة والسياحة البيئية، وكانت قيمة ما تم تقديمه من خدمات وسلع التنوع البيولوجي على المستوى العالمي تقدر بنحو 34 تريليون دولار سنوياً (المرجع السابق)، لكن بكل تأكيد إنه في ظل الحروب والصراعات وأحداث الإرهاب والتخريبات الدولية، أصبح هناك تقلصاً كبيراً في هذا التنوع بدليل ما يطالعنا كل يوم من الإعلان عن حالات انقراض أو (شبه انقراض) لأصناف مستحدثة من كائنات وزراعات نادرة، وعن مفسدات متزايدة تدمر الثروات السمكية والبحرية مثل الشعب المرجانية التي تتدمر وتتهالك باستمرار في مصر نتيجة لإهمال رعايتها، وسوء التعامل معها من قبل بعض السياح غير المؤتمنين على الحفاظ على سلامة ثرواتنا وتراثنا، والذين تقلص عددهم كثيراً

فحل محلهم سياحة داخلية تضم فئات قليلة الدراية والإدراك بالأهمية الاقتصادية الكبرى لمثل تلك التنوعات فتسبب بعضهم في المزيد من الأضرار لمثل تلك الثروات الطبيعية النادرة أو مرتفعة القيمة.

6- **المحميات الطبيعية**

تتميز بندرة ما تختص به من مناظر وموارد طبيعية محلية ذات قيمة ثقافية أو علمية أو سياحية أو جمالية – وحتى عام 2007م كانت مصر تحظى بامتلاك 27 محمية طبيعية تمتد على مساحة 149 ألف كيلو متر مربع (نحو 15٪ من إجمالي مساحة مصر) (المرجع السابق ص 124، 125).

لكن بعد أحداث 2011 والتعديات المتزايدة وانخفاض البعد الأمني لبعض الوقت، أصبح وضع تلك المحميات معرضاً لتحويلها إلى مستباحات للمنحرفين والقراصنة وخبراء التكسب السريع بأموال مغسولة!.

7- **المخلفات الزراعية**

يتربع على قمة المتواجد منها في مصر "قش الأرز" حيث يمثل كميات ضخمة يسعى المزارعون إلى حرقها مصرحين بأنها العملية الأيسر والأقل تكلفة لهم بل والمتاح الوحيد لهم حيث أن الآلات المستخدمة لكبس القش وإعداده كخامات إنتاجية مكلفة جداً لهم ولا يجدون من يدعمهم في تمويل إنتاج تلك الآلات التي أعلنوا عن رغبتهم في تصنيعها بأنفسهم لو توافر لديهم التمويل الكافي. وذلك كما صرح لى المزارعين في مناطق مختلفة بقرى الجمهورية أثناء مشاركتي في الفرق البحثية المختصة بالتخطيط الاستراتيجي لتلك المناطق وزيارتي الميدانية لها).

8- **المخلفات الصلبة**

وهى التي تتولد من المخلفات المنزلية والزراعية والصناعية ومخلفات المستشفيات والصرف الصحي.. إلخ – ولقد قدر المتراكم منها سنوياً بنحو 66 مليون طن، وذلك وفقاً لتقديرات عام2007 حين كان عدد السكان في مصر 77 مليون نسمة، ما بال الحال الآن ونحن على مشارف عام 2016؟!

وفى هذا الصدد تجدر الإشارة إلى خبر كان قد نشر في بوابة الأهرام الزراعي في سبتمبر 2015م، بأن مخلفات المواشي تعتبر مصدرا ممتازا لإنتاج أحد مصادر الطاقة الحيوية المتجددة، وقد أشير إلى أن المتاح من تلك المخلفات المهدرة تكفى وحدها لإنتاج 43 مليون اسطوانة غاز سنويا، ومع هذا مازال يتم التعامل مع تلك المخلفات باعتبارها موردا سلبيا يستلزم مبالغ ضخمة في سبيل التخلص منه وتدنية التكاليف الصحية الاجتماعية السلبية من تواجده في الطرقات الآهلة بالسكان.

الخلاصة:

إن ما سبق عرضه تواً يمثل صورة سوداوية مصغرة لما أصبح العالم كله ومن بينه مصر يعيش عليه ومن خلاله، ولو ركزنا فقط على النموذج المقدم كمثال في هذا المقام لتأكدنا من صحة تأثيرات مسببات الندرة التي تم استعراض بعضها في خلال الصفحات السابقة، ومن الأمثلة على تلك المسببات التي يمكن استنباطها من العرض السابق:

1- المعاملات الربوية التي تمثلت في القروض الائتمانية التي تعاملت بها كل الدول التي تعرضت للأزمات الاقتصادية.

2- الفساد السلوكي والتدخل البشرى السيئ في الإخلال بالنظام الطبيعي إلهي الخلقة والمصدر.

3- ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (الروم41).

4- الموارد الطبيعية إلهية المصدر التي أمر الله تعالى بأن تتاح لكل البشر على حد سواء (الناس شركاء في ثلاث..) أصبحت محل تنازع واستئثار ولعبة صراع اجتماعي وسياسي محتدم بين الأفراد والجماعات والدول على حد سواء، بما يناقض تماماً قوانين الإعمار والاستخلاف الإلهي التي تتيح موارد طبيعية لتكون ملكا لكل دول العالم وليست حكرا لقوى ضد ضعيف أو مستضعف (وذلك كالحال فيما يتعلق بمشروع سد النهضة الأثيوبي الذي يستهدف منه حرمان بعض الدول المشاركة لذات المجرى

النيلي لمجرد اختلاف المواقع بين دول منبع ودول مصب، وكذلك قيام أمريكا بإلقاء الفوائض من محاصيلها كالبطاطس في مياه المحيط حفاظاً على الكمية المعروضة وبالتالي على الحد المفروض لأسعار بيعها المرتفعة، وأيضا مثل النظريات الاقتصادية الاستعمارية ذات التوجه الأناني التي تدعو إلى نهب ثروات وموارد الدول المستضعفة بحجة عدم استحقاقها لامتلاك ما لا تستطيع التعامل الصحيح معه، وتلك التي تدعو إلى قطع معونات الدول ذات الفائض عن الدول الأخرى المحتاجة، متجاهلين جميعاً أنهم يتحكمون بقوة بشرية مؤقتة فيما لا يملكون.

5- البعد شبه التام عن اتباع أوامر الخالق، مع اتباع المنهج القاروني والكبر الإنساني المهلك كأساس ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ (القصص: 78).

6- وحتى من يبدون أو يدعون بأنهم يتبعون أوامر الله فغالبيتهم لا يربطون القول بالعمل ولا التصريح بالتطبيق ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ (الصف: 3).

وكل هذا أو غيره يؤكد على أن السبب الرئيسي لما يعانيه العالم أجمع من نضوب ومحدودية في الموارد إنما هو نتيجة لعقوبات وإنذارات إلهية متكررة.. لعلنا نفيق كبشر من غفلتنا قبل أن تغرق سفينة الحياة بكل من فيها.

بعض المبشرات المأمول في إيجابية تأثيراتها على التنمية الفاعلة للموارد المتاحة

ولا يقصد بالمبشرات في تلك الحقبة الزمنية (المتخمة بالفتن والصراعات والدمويات والفوضويات) أنها عوامل سحرية التأثير وأنها يمكن أن تحقق حالة التوازن الذي تم الحديث عنه في البداية، لكن يقصد بها هنا بعض الإمكانيات والوسائل التي يؤمل في أن يؤدى الأخذ بها إلى الحفاظ على الحقيقي من ثروات وتقليل كم الإهدارات والحد من عمليات الاستنزافات للموارد والنعم التي أصبح أغلبية البشر يتبارون في إساءة استغلالها وتعريضها لمخاطر النضوب والهلاك التام – ومن هذا نذكر:

أولا: تنمية وتطوير وتطبيق مجالات إعادة تدوير النفايات والمخلفات الزراعية والصناعية والاستهلاكية

فقد انتشرت وتنامت عمليات تدوير جميع أنواع المخلفات والنفايات حتى الصلب والكريه المنفر منه، بحيث ساعدت التقنيات المتطورة على تحويلها إلى عناصر إنتاجية نافعة، مثل تحويل تلك النفايات الصلبة إلى أسمدة مغذية ومخصبة للتربة، ومعالجة مياه الصرف الصحي وتحويله إلى مصدر مائي صالح للري ـ

أما عن قش الأرز، فهناك جهود جادة متزايدة تسعى إلى إعداده كخامات إنتاجية يمكن استخدامها لإنتاج الورق، والعلف والأسمدة، وقبل 2011 تم إقامة مشروع مصري فرنسي عمره خمس سنوات بهدف إنتاج مبيدات حيوية غير ضارة بالنبات ولا بصحة الإنسان لكن توقف نتيجة للأحداث مثل غيره من مئات المشروعات والاستثمارية النافعة المأمول في إعادة تشغيلها واستكمال دورها الإيجابي.

هذا – وقد تنامت الأبحاث وتضافرت الجهود من أجل تحويل ورد النيل من عدو لدود للبيئة خاصة المائية والملاحية والصحية للإنسان إلى مورد إنتاجي متعدد المنافع وذلك بالسعي إلى استخدامه في إنتاج الأسمدة المخصبة وعلف المواشي وصناعة أنواع معينة من الورق خاصة إنه يتوافر بكميات هائلة تغطى نحو 300 مليار متر مكعب من الماء بما يكفى لري واستزراع 100 ألف فدان من الأراضي الجديدة.

ولقد نجحت كثير من الدول في الاستفادة من هذا المورد المزعج في ظاهره وتحويل جزء منه إلى مورد طاقة حيوية متجددة، كما شاع استخدامه في مجالات أخرى على النحو التالي:

- في الفلبين: استخدم في صناعة الحبال والأحذية والحقائب وأواني الزرع واستخلاص لمعادن ثقيلة تستخدم بدورها في صناعات أخرى.
- في الهند: توليد كميات ضخمة من البيوجاز.
- في أمريكا: يستخدم في تنقية مياه الصرف الصحي.
- في اليابان: يستخدم كنوع من نباتات الزينة مبهجة المنظر.

ثانيا: توليد أنواع مستحدثة من الطاقة والكهرباء من مصادر متاحة غير مألوفة. حيث نجح كثير من الشباب المصري في اكتشافها وتطبيق تجارب ناجحة بشأنها مثل:

الماء، البطاطس، دينامو السيارات وحركتها السريعة على المجسات الأرضية، مروحة الكمبيوتر، الشمس، الرياح، الجاذبية الأرضية، خطوط التليفون، (كهرباء ذاتية) بالدراجة الهوائية... إلخ

وكذلك استخدام مخلفات المواشي في توليد وإنتاج البيوجاز (وذلك كما تمت الإشارة إليه في جزء سابق)

ثالثا: تنامي أبحاث جديدة وناجحة وقابلة للتطبيق بتكاليف اقتصادية من خلال أنشطة المركز القومي للبحوث

وكان من أهم ما أعلن عنه مؤخراً إمكانية تحويل قش الأرز المسبب لظاهرة الدخان الموسمية، إلى عنصر إنتاجي متعدد الاستخدامات والمنافع منها:

1- استخراج لب ورق من أجل تصنيع أعلاف وقوالب وقود ومبيدات ليرقات الناموس وصناعة الورق والكرتون.

2- ولقد صرح أحد المسئولين بالمركز بأن المعدات المستخدمة هي محلية الصنع بالكامل، وأن الوحدة منها تتكلف نحو 8 مليون جنيه مصري بحيث يعمل عليها 100 عامل مباشر بالإضافة إلى 100 عامل آخر غير مباشر يقوم بأعمال مؤقتة في مجال صناعات متوسطة أو صغيرة ذات صلة بالمشروع الأصلي.

3- إنتاج الخشب البلاستكي، حيث صرح إنه يستوعب كثيرا من النفايات المتنوعة (مثل قش الأرز، حطب القطن وجريد النخل)، وذكر أن هذا الخشب يتميز عن كثير من الأنواع الخشبية الأخرى بأنه سهل التشكيل، خفيف الوزن، رخيص الثمن.

4- إنتاج الورق والكربون.

5- إنتاج السماد الصناعي وعلف الحيوانات.

6- إنتاج أنواع من الحبال والقبعات.

7- إنتاج الغاز.

رابعا: توجه متزايد إلى إنتاج الأعشاب الطبية والزيوت العطرية والروائح باستخدام الخامات الأولية المتوافرة بكثرة في مصر خاصة في سيناء والوادي الجديد وبني سويف.. إلخ وذلك كالحال بالنسبة للياسمين والورد البلدي الذي كان الاتجاه يتركز على تصديره بالكامل إلى الخارج بأبخس الأثمان ثم يعود إلى مصر كصادرات عطرية فرنسية وأجنبية باهظة الأسعار وتلك المعلومة تم الحصول عليها من خلال زيارات ميدانية متعددة للكثير من مناطق الجمهورية أثناء المشاركة في العمل في مجال التخطيط الاستراتيجي لمدن وقرى الجمهورية.

خامسا: تركيز الاهتمام على التعليم الفني وإنشاء وزارة موجهة لدعمه يعنى تحويل إدراك المسئولين إلى مدى أهمية العمل اليدوي والتطبيقي في زيادة فعاليات استغلال الموارد المتاحة للدولة، بل وزيادة إنتاجية السكان العاملين في مصر باعتبارهم أنفسهم موارد إنتاجية مطلوب تنميتها وتطويرها وتفعيلها.

سادسا: الجهود الإصلاحية المؤخرة التي بدء في تنفيذها بجدية أكبر من أجل إرساء بنية أساسية قوية تيسر عمليات التنمية والتطوير للموارد المحلية، ودعم الاستثمارات المحلية وتقوية مقدرتها التنافسية تجاه الاقتصاديات الدولية الأكثر قوة، وقد بدأ هذا بوضوح منذ نحو عامين، وعلى الرغم من الكثير من الحركات المعادية والمتربصة من الخارج ومن الداخل نتيجة لاختلاف التوجهات وتعارض الأهداف، إلا أن المجهودات الاستثمارية ما زالت تسير على نهج مبشر، كما بدء في إحياء الدور الاستثماري لبعض الأجهزة الاستثمارية التي كانت تتمتع بتميز وارتقاء إنتاجي في الماضي مثل المصانع الحربية والهيئة العربية للتصنيع التي كانت أنشطتها قد بدأت في الضعف والانزواء نتيجة للأحداث المؤخرة التي شملت المنطقة العربية جميعها بالفوضى والارتباك والتربص من أجل إعادة تقسيم المنطقة وإلغاء الهوية العربية وتحويلها إلى شرق أوسطية، أو شرق أقصى، أو خلافة، أو وحدة سوفييتية.. كل وفقاً لتطلعاته!!!!

سابعا: الرمال السوداء والرمال البيضاء، كموارد مغبون حقها في الاستغلال والانتفاع

فكما هو معروف، أن المساحة الغالبة لمصر تتمثل في مناطق صحراوية رملية ترابية، بحيث يعانى السكان من تطاير الكثير منها وتلويث الهواء بها خاصة في فترة الربيع المرتبطة بما يطلق عليه (الرياح الخماسينية)، على الرغم من أن تلك الرمال التي تمثل مصدر إزعاج للعامة تمثل في الواقع ثروة قومية صعب أن تقدر عوائدها ومنافعها.

وبالإضافة، إلى ما سبق، فإن مصر تطل عل البحرين الأحمر والأبيض المتوسط اللذان تتراكم على شواطئهما كتل من أنواع أخرى من الرمال الممثلة لثروة طبيعية كخامات إنتاجية إضافية مغبون حقها. وتعتبر سيناء وحدها مجمعا ضخما للرمال التي يباع الطن منها بثمن بخس يتراوح بين 20 إلى 40 دولار للطن إلى بعض دول الخليج وتركيا والصين وغيرها، لتعود إلى مصر في شكل منتجات ذات قيم مضافة بحيث تباع بأسعار خيالية (مثل تصدير أكواب المياه البلاستيك كصناعة تركية باستخدام الرمال البيضاء المصرية كخامات أساسية).

وفيما يتعلق بالرمال البيضاء، فهي تستخدم كخامات للصناعات بالغة التنوع مثل زجاج النظارات الطبية وإنتاج مادة السليكون وإنتاج مطهرات مياه الشرب وفى إنتاج الطاقة الشمسية وتصنيع الشاشات والشرائح الالكترونية.. الخ

وجدير بالذكر أن موقع الحسنى بشمال سيناء يشمل وحده على 40 مليون طن من الرمال البيضاء، بينما يشمل موقع أبو زنيمة جنوب سيناء على أجود أنواع الرمال الصالحة كخامات لإنتاج الزجاج النقي.

وعلى الرغم من عدم الاستغلال الكافي للثروة الرملية المتكتلة في مصر، إلا إنه قد تم مؤخرا إنشاء مشروع استثماري رائد تكفلت به شركة برأسمال قدره 2 مليار جنيه وذلك في كفر الشيخ في منطقة البرلس بالتحديد وذلك على مساحة 36 فدان بمنطقة الخشوعى بين برجى البرلس ومصيف بلطيم، حيث تساهم القوات المسلحة بنسبة 61٪ من رأسمال تلك الشركة، ويساهم أحد البنوك بـ 10٪، وتساهم محافظة كفر الشيخ بالباقي من رأس

المال المقرر. ويهدف المشروع المذكور إلى استغلال "الكثبان الرملية السوداء" المتوافرة بالمنطقة واستخراج عناصر هامة منها مثل الإشعاع النووي والذهب والتيتانيوم المستخدم في صناعة هياكل الطائرات والصواريخ الضخمة، والروتيل المستخدم في صناعة البويات، وجدير بالذكر أن الرمال السوداء تشتمل على 41 عنصرا يمكن أن يساعد كخامة أساسية على تنمية 41 صناعة منها ما ذكر ومنها أيضاً صناعة الزجاج والمنتجات الذهبية وغيرها.

ثامنا: الريف المصري الجديد، حيث بدء الاهتمام مؤخرا بالتنمية الريفية الحضارية من خلال التوسع في إنشاء مناطق ريفية في ثوب إنتاجي جديد خاصة مع تنمية مناطق الظهير الصحراوي، وكان من أهم ما أعلن عنه في منتصف مايو 2016 من مشاريع ذات صلة هو مشروع تتكفل به شركة الريف المصري الجديد بهدف استصلاح مليون ونصف فدان وذلك برأس مال 8 مليار جنيه يشارك في تمويله هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة والهيئة العامة لمشروعات التعمير والتنمية الزراعية ووزارة المالية، مع استهداف تشجيع القطاع الخاص على المشاركة في استكمال تشييد نموذجا معاصرا للريف المصري الجديد بمنطقة الفرافرة بحيث يصبح مشروعا رائدا يمثل نقطة بداية وانطلاق لمشاريع متماثلة في جميع أنحاء الجمهورية فيما بعد.

الخلاصة:

من كل ما تم عرضه على الصفحات السابقة يتأكد للجميع إنه لا يوجد سلبي مطلق ولا إيجابي مطلق – ولا توجد مشكلة ظاهرية إلا ويقابلها حل قابل للتطبيق الفعال في القضاء عليها أو التقليل من حدة تأثيراتها.. أو في كثير من الأحيان تحويلها إلى منافع مرغوبة تفيد ذات الفئات المتخوفة من الأضرار والمخاطر المتوقعة أو الظاهرية.

فالأمر يتطلب في كلمات قصار:اتباع التوجيهات الإلهية في كيفية التعامل مع الموارد والنعم والأرزاق، لأن الله وحده الذي يعرف مفاتيح الإدارة الصحيحة لما خلق وأوجد من تلك الموارد وهو وحده العالم بكيفية الاستغلال الرشيد لها، هذا، مع ضرورة ربط الطاعة بالعلم وبالإتقان وبصفة التحدي الفعال المصحوب بالعمل الدءوب الذي يمكن معه تحويل كل سالب إلى موجب وكل ضار إلى نافع وكل محدودية إلى وفرة.

فـقـط، علينا جميعا أن نتذكر:

- أننا لم نؤت أي شيء من عندنا..
- وأن الله ضمن لكل مخلوق ما يكفيه..
- وأن المصدر الفعلي للموارد وللثروات وللمتطلبات المعيشية هو.. خزائن الله التي لا تنفذ.